


# الحج بعبادته ومنافعه

## والتنظيم المرجى لحل مشاكله المعاصرة وزحامه

بقلم ابن شهيد ميسلون

المحامي

محمد بن كمال احمد الخطيب

مدير جمعية ومجلة التمدن الاسلامي بدمشق

هدية مجلة التمدن لعامها الرابع والاربعين

١٣٩٧ هـ — ١٩٧٧ م



## الإهـــداء

إلى ( الرجل ) الأصيل الذي لم تحاصره العشائرية والاقليمية في سجن عصبية اثرتهما ونظرتهما بأفقهما الضيق فكان رجل العروبة .

إلى ( العربي ) الذي لم تخدعه الدعايات فتستدرجه إلى غرورها المستكبر : فكان ( مسلماً ) يؤمن بقوله تعالى : « إنما المؤمنون إخوة » لهم حق الاخاء والتعاون والنصرة والولاء !

إلى ( المسلم ) الذي عرف حكمة التعارف والتعاون بين الأمم ففتح بصره وقلبه وكفه ، وتوجه حيثما توجه بعزيمة صادقة .

إلى ( المليك ) الذي شرف الله أسرته وملكه بخدمة الحرمين الشريفين لتتجلى في أعماله ( مواهبه ) و ( عقيدته ) على مقدار حمله التبعة والنهضة بمنهج اسلامي صريح صحيح يخرج به البلاد والعباد من الظلمات والمشكلات إلى النور ، وهو يستهدي بهدى ربه لينهض ببلاده نهضتها ، بخطى ثابتة ، وعزمة صادقة ، تسابق العصر ولا تجاريه ، وترسم له من الاسلام خطاه .

وإن خدمة بيت الله الحرام وتطهيره ميراث بنوة ابراهيم واسماعيل عليهما السلام في هذه الديار المقدسة .

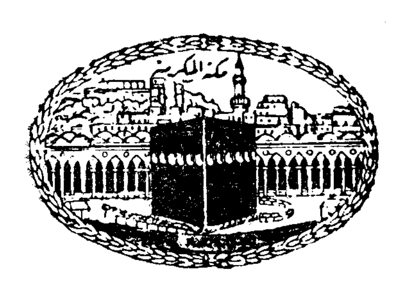
وإن تطهير بلده من مشكلاته ، وخدمة الحجيج كله ، لتحتاج من جلالتكم إلى تفرغ ساعة ( لتقرأوا بالذات ) ما سطرته ( كمنهج ) يعرض المشكلة المعاصرة بأسبابها ويبين خطة إصلاحها ، ويبصر مع اليوم وحاجته غداً واتساع الحاجة رجاء أن تفوز جلالتكم بما يعم الناس نفعه . ويبقى لجلالتكم واسرتكم ذكره الخالد بثمرته ومثوبته الكريمة جزاء ( من سن سنة حسنة ) تسد حاجة الزمن في يومه وغده .

وإن في تعاون العلم بنصيحته مع العزم بسلطان حكمة ثمرة خير ما يبتغى به وجه الله تعالى .

والله من وراء القصد

وهو ولي التوفيق

والسلام عليكم ورحمة الله .






وبه نستعين

# كتاب مفتوح

## تحية وتذكرة

إلى صاحب الجلالة خالد آل عبد العزيز السعود المعظم

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته وبعد :

١ — فان من تمام شكر الله سبحانه وتعالى على ما أنعم به علينا من أداء مناسكه منذ ثلاثة أعوام أن نقدم الشكر لما نرى من مزيد العناية ومواصلة الخطى في تيسير السبل لأداء المناسك عاما فعاماً !

وقد شهدت من أوائل هذه العناية عهدها السعودي ( مظلة المسعى ) - يوم كان المسعى سوقاً تجارياً ، عهد الوالد الجليل - تغمده المولى برحمته كما شهدت وقفة الحزم والعزم والخدمة لضبط وتيسير ( الافاضة ) من عرفات من عهد الأمير عبد الله الفيصل في مكة المكرمة

فلكم ( آل السعود ) من تعظيم شعائر الله حرمة وتعظيم ، ولجلالتكم من يمن عهدكم الجديد إن شاء الله البداءة الطيبة بهذا العمل الطيب المجيد الذي أتشرف بتقديم مقترحاته .

٢ — وإن العناية والاصلاحات التي تمت على رغم الوفرة وسعتها ، ( بمثل توسعة الحرمين الشريفين ) لاتزال تتطلب المزيد لأسباب في مقدمتها :

أولاً : إن الله بوأ لابراهيم مكان البيت واختاره من أرضه في واد غير ذي زرع .

أ — وقد رشحه مع ذلك ليكون ( كما دعا ابراهيم عليه السلام ) بلداً آمناً ويكون للناس كافة سواء العاكف فيه (المقيم وابن الوطن) والباد (المقبل عليه من البوادي ) المنتشرة حوله ، وقد دعاهم الله إليه ليأتوا إليه « من كل فج عميق » من فجاج الأرض وقاراتها المختلفة .

ب — ورفع تعالى مقام هذا البلد بالاسلام وسماه ( أم القرى ) عاصمة لعواصم الأرض كلها ، تتوجه إليه القلوب المؤمنة وتعظمه وتعظم من يتولى خدمته وأمنه وضيوفه ويعظم مناسكه وشعائره .

ج — وقد جاء الزمن الذي نفهم منه هذا المعنى على أتمه ، فليس ( جنيف ) أو ( نيويورك ) أو أية عاصمة أو مركز دولي في أرض الله ، تنزل منزلة ( مكة المكرمة ) = « أم القرى » مهما تعاقبت الدول والقرون وزهبت العواصم والحضارات وذلك لشرف (المبادىء) التي تقوم عليها أجملها ( بدين الفطرة )، وإخاء الانسانية والتي تعلنها انسانية متحررة من كل عبودية لغير الله ، وهي إنسانية تستشعر كرامة الانسان على ربه بما فضله به على كثير ممن خلق تفضيلا بالخصائص الانسانية وتساميها إلى رفيع الدرجات باستمرار واطراد .

ثانياً : وإن ما سارت عليه ( الأسرة السعودية ) من الاصلاح للمناسك ( على مثل الخطى من إعمار للمملكة كلها ) هي بداءة صالحة وخطوات مذكورة مشكورة ، غير أنها بداءة لا يكفي لها ( في موقف حمل التبعة أمام الله سبحانه وتعالى ) أن نقول : مافعلنا .. ومابذلنا ... ، لأن النظر عند حمل التبعات إنما يتوجه على أساس مامكننا منه تعالى من القدرة عليه ، وهيأ لنا أسبابه ، فان الله جلت حكمته جعل التبعة على قدر السعة .

ثالثاً : وإن الأمم الحية لترحب دائماً بمقدم الغرباء على أراضيها ، وتشجع ذلك بمختلف المغريات والبواعث ، وأمامنا نماذج عديدة لأمم يدخل عواصمها يومياً المليون بل الملايين ويخرجون بصورة طبيعية منظمة مألوفة ميسرة ، وتستزيد هذه الأمم من ذلك لا عن جمل النعات انما يتوجه على أساس بالدعايات وأنظمة

السياحة وإقامة المعارض ودعوة المؤتمرات ونحو ذلك وهم راغبون شاكرون لا يتململون ولا يتكرهون من ازدياد هذا الاقبال عليهم .

رابعاً : وهذا حق ( أم القرى ) المفضلة به على جميع مدن الأرض وعواصمها :

أ ـ ولهذا فانه لابد من الاسوة ومعرفة نظم الامم بهذا الصدد ومضاعفة الجهود والعاملين عليها بغية التعجيل بالاصلاحات اللازمـــة وزيادة التيسير ، على العباد وتأمين الحاجات في ضوء دراسة ( الأمر الواقع ) واعتبار الحج موسماً يغتنم بمنافعه ديناً ودنياً ، لا عبئاً ينتظر له ساعة ( الترحيل ) للحجيج والخلاص من أعبائه وتكاليفه .

خامساً : وقد يسر الله في عهد أسرتكم الميمون من أسباب الرخاء والعمران مايسر حتى من وفرة الماء وفي أرض الوادي الجديب الذي كان وادياً غير ذي زرع ، فأصبحت تزينه المياه والأزهار والخضرة والأشجار وأصبح قابلا لاعطائه عمرانياً وضعاً يناسب مركزه الدولي كأم القرى ؛ عاصمة لعواصم الدنيا

أ ـ ولم يعد من ذلك ما يتعذر مع مالديكم من صدق الرغبة والبذل السخي

ب ـ ونحن نرى للأسوة مانرى من جهود الغير في بلادهم بنماذج وفيرة بمثل ( المعسكرات العالمية ) التي تشاد حتى ولو كانت لمرة واحدة في الدهر كالمعارض ومخيمات الكشفية ومؤتمراتها والالعاب الرياضية الدولية ( الاولمبية ) وما إليها حيث توفر الاسباب فيها لراحـــة الزوار الوافدين ولو كانوا بالملايين وذلك على أكمل نظافة ونظام ، ونحن أولى منهم بذلك

جـ ـ وان ما يقتضي التنبه له ( عمرانياً ) تنبيهنا له ( دينياً ) أن من أبرز مبادىء ديننا الحنيف ما دعا اليه دعوة الحج كله وذلك ليطهر النفوس حتى تعود إلى فطرتها النقية مبرأة من الذنوب بحج مبرور مغفور وعمل متقبل .

وهذه الطهارة النفسية قد مهـــد لها الاسلام بطهارة للعبادة في نظافة الجسد والثوب والمكان ، هذا إضافة إلى نظافة الخلق واللسان والجنان .

د – ولهذا وجب أن تكون من أبرز مظاهر الاصلاح : تنظيم أماكن العبادة والطهارة بما يمكن من سد الحاجة بما يكفي بحق بل مع الزيادة لارتقاب المزيد ومفاجآت الاقبال بين عـــام وآخر بحكم زمن سرعة المواصلات ومزيد القدرة والرغبة .

سادساً : إكرام الثراء وجانبه في وضع البلاد ومركزها الأدبي :

١ – إن الخير الذي فتح الله أبوابـــه ( بآبار النفط ومناجم الذهب ووفرة المعادن من خبيئات الأرض ) وحفظه لهـــذا العهد قد جعل العالم ( في الداخل والخارج ) يتطلع أول ما يتطلع اليـــه من الثروات الطبيعية المدخرة إلى اليوم على أنها ثروة عالميـــة تهز اقتصادياتها العالم كلـه في سلم وحرب حتى أخـذت في الندوات الدوليـة والمؤتمرات تبحث تحت شعار خيرات الارض لأهل الارض جميعـاً .

٢ – هذا إضافة إلى تطلع العالم الى موقع هذه الديار من مخطط العالم وملاحظة مركز أهلها التاريخي ودورهم الحضاري في العالم

٣ – لقد تفتحت أعين الاصدقاء متسائلة ماذا نعمل وذلك بعد أن تفتحت أعين الاعداء وهي تدبر من المكائد ما تدبر .

إن هذه النظرات المحدثة لتوجب تعجيل الاستفادة من هذه الثروات استفادة تنهض بالديار المقدسة أولاً وبالمملكة جميعاً ثانياً ، وترسم لذلك خطتها ممتدة إلى ديار العروبة خاصة والاسلامية عامة ومنها تمد اليد الى أنحاء الارض جميعاً بما يبلغ رسالة الله في حسن استخدام المال والثروات الطبيعية .

ونحن نعلم أن الله سيسأل يوم الحساب كلا عن ماله : من أين اكتسبه وأين أنفقه ؟

أ – وينبغي أن يكون في طليعة البذل ما نبلغ به رسالة الله لهداية الناس كافة ابدءاً من تعليم الحج ومناسكه وطرقه الانتفاع من موسمه قبل أن يفرض

الاستعمار علينا قيادته إلى ضلالاته بأساليبه الاستعمارية الجديدة المتسترة بعدما فشل الاستعمار الساخر باضلاله واستعباده لأمـة العقيدة أمة القيادة ونحن نحمد الله أن حظينا بكتابه العربي المنزل ، فنحن أمة عقيدة ودعوة هادية أمرنا الله بتبليغها لنخرج الناس من الظلمات إلى النور بإذنه

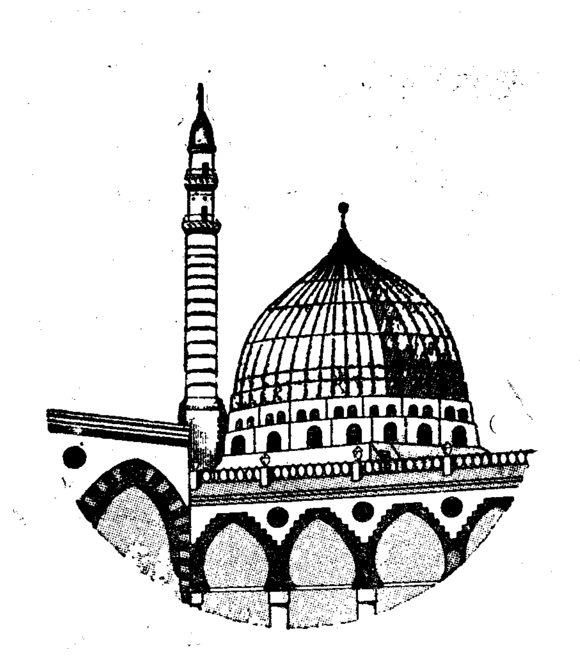
ب ـ هـذا وان من فضول القول أن النهضة الصادقة لاتكون بتغيير الأثواب والبنيان والمرافق وإنما تكون على أصولها النفسية ثقافياً ، ذلك لأن ديننا دين كتاب وثقافة ( دين عقيدة ـ ايديولوجية ) يعلن دستوره القائل : « إن الله لايغير ما بقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم، من المشاعر والأفكار والبواعث والمقاصد والأعمال ، فينبغي أن نعطي النهضة والقيادة حقها على مستوى العصر ومؤسساته الثقافية تعليماً وتبليغاً على مستوى وسائل العصر طباعة ونشراً وإذاعة ( سمعية ومرئية ) بمـا ينهض بالامة نهضة إسلامها إلى مستوى العصر الذي تعيش فيه وتتطلع اليه دون أن ننحرف إلى مناهج تبعد الامة عن إسلامها فكرياً أو نفسياً أو اجتماعيـاً أو بأية صورة من الصور التي تفسد ما تتميز بـه الشخصية المسلمة وهي المادة التي بنى الله منها بناء خير أمة أخرجت للناس

وهذا ما سنفصل فيه بعض التفصيل في بحثنا عن الحج معرض أمة ومنبر دعوة ص ٣٥ على ما دعانا الله اليه وجعل من أبرز منائره إقامة الحج في كل عام وجعله مؤتمراً لا يدانيه مؤتمر عالمي ، وجعله عبادة تضم فضائل العبادات كلها .

وان حلنا لمشكلة الحج مشكلة الموسم والساعة يستتبع من النظر أدقـه وأوسعه على مستوى فهمنا الحج بمعنى جعله تعالى له ركناً من أركان الاسلام: بعدما أقام عليه بناء هذا الاسلام من تهذيب الفرد إلى تهذيب العالم تهذيب إمامتـه وكعبته المشرفـة التي تربط القلوب والعقول وتوجهها من نقطة اشعاع واحـدة تقيم عليها إمامة الإنسانية في الأرض كلها .

إن الحج ليس موسماً واعباء وإنما هو ركن ودين وهداية للانسانية ، وان دياره كالكعبة المشرفة لها مركزها الثقافي والحضاري يشع منه النور وتتوجه اليه القلوب والعقول في العالم كله ؛ فلنقدر ذلك حق قدره ولنؤد من نعمة الله وهدايته شكر ذلك بالعناية التامة والاصلاح الجدي والنهضة الصادقة والخطة الرشيدة .

والله ولي التوفيق



# اجمال النظر والخطة الاصلاحية

١ - النظر الى الحج على أنه رحلة تثقيف وتهذيب وعبادة يوجب التعليم لها ومرافقة ( المعلم ) لأهل رحلتها حتى لا يمروا على آيات الله من طريق حجهم وهم عنها معرضون من جهالة وغفلة وان تنظم تنظيم الرحلات الجماعية السياحية والثقافية في حلها وترحالها على مستواها العالمي .

٢ - مساهمة ادارة الحج بالاشراف على الحجيج من بلادهم والاستعانة بالملحقين الثقافيين في القنصليات السعودية وبالجمعيات وأرباب الشعائر الاسلامية والعلماء العاملين . . .

٣ - يبدأ الانتفاع من الحج كمؤتمر سنوي ومعرض دائم باعداد استمارة في كل قنصلية سعودية يتعرف منها الى شخصية الحاج علمياً واجتماعياً واقتصادياً وهلم جراً حتى يستفاد من ذوي الكفاءات بلجان يعقد منها مؤتمر سنوي للاصلاح والتعاون الاسلامي محلياً ودولياً

٤ - تنظم مكة والمدينة وأرض المناسك من عرفات الى منى تنظيماً عمرانياً وصحياً بحيث تعالج مشكلة الزحام وتيسر المواصلات وتسد الحاجات .

أ - ويقام ذلك على أساس ( مكة كلها حرم ) و ( مابين لابتي المدينة حرم ) وتفرغ لذلك من المباني طوابقها الارضية لتكون امتداداً للمسجدين بما يغني عن كل توسعة اخرى .

ب - وتعمم لذلك مصورات وتعليمات سنوياً .

ج - ويخصص لكل قطر مواطن دائمة وتجعل معارض دائمة الى جانب مؤسسات القطر كالبعثة الصحية ونحوها .

د – تنظيم استقبال الحجيج بنظام جديد يحل محل نظام المطوفين البالي تحت إشراف لجنة عليا ولا يعني تغيير النظام انقطاع موارد الحج المألوفة للمطوفين بل تجديد تنظيم ذلك بما يحقق المقاصد

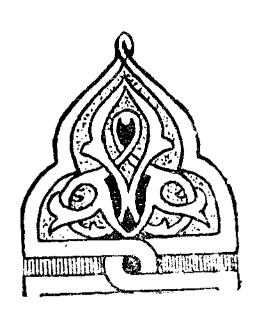
هـ - ويخصص للمهتدين للاسلام وخاصة من البلاد المتقدمة (لجنة مضيفة) ويساعدها من الشباب الجامعي ونحوهم أعوان وتنظم لهم ندوات ومحاضرات وتوزع عليهم كتب ونشرات ومصورات وهدايا ..

و – وتجعل دعاية الحج دعاية موسم واعلان مبادىء في معركة الصراع الثقافي الدولي .

ز – وتؤلف لجنة اصلاح ذات البين بين الاقطار الاسلامية وتقوم بدور توثيق العلائق ...

وفي المقالات التالية تفصيل بتحليل وتعليل ومقترحات للاصلاح وبيان

« والذين جاهدوا فيها لنهدينهم سبلنا وان الله لمع المهتدين » .



# الحج رحلة بمشاكلها وحلها

## تمهيد لايضاح المشكلة وطرق حلها

أولاً : إن الحج رحلة :

١ – لاداء المناسك .

٢ – وشهود المنافع .

كما قال سبحانه وتعالى « ليشهدوا منافع لهم ، ويذكروا اسم الله » .

وإن الغفلة عن تحقيق القصد اضاعة له .

وإن مشكلة العصر من الضياع عامة ومشكلة المسلمين من إضاعة مقاصد شريعتهم مشكلة أخص، فهي تتكرر في حجهم عاماً فعاماً على رغم مايبذلون من عناية وجهد أفراداً وجماعات ، شعوباً وحكومات ، وذلك من ضيق النظر حين لا يحاط بالمشكلة إلا على مقدار الساعة ...

ثانياً : إن الحج ذكر الله وتذكره :

( كالصلاة ) من غفلة الحياة . وهذا ما يحتاج إلى فكر ويقظة وجدان حتى يعي الحاج ما يقول وما يعمل ولم يسافر ويتحرك من سكنه وعمله وبلده ويقبل على ( الميقات ) موطن بتداء نسكه باحرامه ، وكيف يكون في سفره وكيف يعود إلى بلده وأهله بعد حجه :

١ – وهذا ما يستلزم أن نعلم الحاج كيف يعد النفس لما تقبل عليه وما هي منافع الحج التي يطلبها ويسعى لها ليلتمس الأسباب للفوز بنصيبه من حجه في دينه ودنياه مادياً وأدبياً ويشهد آثار ذلك في نفسه وأهله ووطنه بل وفي حياة الانسانية والأرض جميعاً .

٢ – وان من عرف الحج بأحكامه وحكمته وأعد لها نفسه وأقبل على سوقها بنشاطه : كما أعد للسفر نفقته وأسبابه وتفرغه ، فانه بذلك يلحق فينضم لأعظم وفد عالمي إنساني ويشارك بأجل معرض دولي للانسان والانسانية، حين يدخل في ( الميقات ) بزمانه ومكانه مع الزمر من اخوانه المسلمين المقبلين لما أقبل عليه بقلبه وعقله « ليشهدوا منافع لهم ويذكروا اسم الله على مارزقهم من بهيمة الانعام » ولم يعيشوا في أرض الله عيشة الأنعام الفاضل .

٣ – وإن إقبال الحجيج بعديده الضخم إقبالهم وهم على حالهم في بلادهم على ما توارثوه من جهل وغفلات وعادات سيئة كل ذلك وما اليه يجعل لقاءهم مشكلة بديل أن يكون لقاء ذكر ويقظة وشهود للمنافع الاسلامية لأكرم وفد على الله تعالى من خير أمة أخرجت للناس هداية الله لخلقه :

أ – ومن هـذا الحال تراهم بكثره إذا تلاقوا لم يتعـارفوا ، وإذا تزاحموا لم يتراحموا ، وإذا تحدثوا كانوا عن الله معرضين أحياناً كثيرة ، وإذا تعاملوا لم يتناصفوا وبدت الاساءة في كثير من المعاملات بينهم ، ولم يجدوا من نظام البلد بتطوافه ومطوفيه ما يهديهم إن لم يزد له سوء الحال إفساداً ووبالا ...

ب – هذا بينما يعلن الله لهم الخطة الواجبة ( من مبدا الميقات من الزمان بأشهر الحج إذ يقول سبحانه وتعالى : « فمن فرض فيهن الحج » .

١ – فلا رفث – من لغو الغزل وحديث الشهوات بله ما يزيد على ذلك .

٢ «ولا فسوق» ( ينحرف به الحاج ويبتعد عن طريق الله المستقيم وهو في موقف عبادته ) .

٣ – «ولا جدال» ( يثير ما تثيره الكلمة في مثل هذه الحال أخذاً وعطاء يعرض عن الله ، باختلاف وخصام .

وان بداءة الحج من هذه الخطوة وخطتها تبلغ الحاج ( من حج ولم يرفث ولم يفسق رجع كيوم ولدته أمه ) على الفطرة النقية مغفوراً ذنبه مبروراً حجه ، متقبلا سعيه وعمله .

ج — وان البعد عن هذه الخطة ( مشكلة ) وأي مشكلة ، وان حل هذه الظاهرة من المشكلة يقوم على تنظيم الرحلة والاعداد لها بالتعلم والتعليم، فان الجهل بالاحكام الشرعية وحكمها هو أول المشكلة .

د - وان شهود المنافع من الحج يبدا من خطوتنا الأولى هذه :

وذلك بالتعاون على تعليم الحاج مناسك حجه واعداده نفسياً وفكرياً لما هو مقبل عليه وتنبيهه إلى المنافع التي ينبغي أن يكتسبها وأن يعود بها من حجه ليكون حاجاً بحق على علم وهدى من الله سبحانه .

هـ - أما ترك تعلم مناسك الحج الى مصادفة الطريق ومن يتعلم منه ما قد يتعلم على هدى او ضلال من أقران وأمثال صادفهم أو صاحبهم ، وارتقاب أن يتعلم في الحج من المطوف بل من أحد خدامه ما يلقنه ، فهذا معناه حشد الوفود بجهالاتها إلى معلم- إن كان كفوأ- وصدق التعليم والنصح لم يجد من الوقت سعة في زحمة الحج وموسمه .

و - ولهذا يجب أن تكون بداءة التعليم للحاج واعداده النفسي من أرضه وبلده حيث يجد لذلك من أرباب الشعائر الدينية من يفقهه في شعائر حجه والعلماء بذلك من حيثما أقبل الحجاج أوفر وتعليمهم أيسر ووقتهم أوسع من زحمة الحجيج في بلده وأيام مناسكه ، وان من لم يكن لهم معلم في بواديهم وقراهم فانهم يجدون من يفتيهم من علماء مدنهم أو عاصمتهم وفي أقرب بلد يمرون عليه ويتوفر لهم فيه هذا التعلم .

ويسهل تعليم الحجاج في ايام ببلادهم ولذلك لا بد من تعليم الحجاج حتى يكونوا عند اقبالهم أهلا ليلحقوا بأضخم وفد عالمي في أعظم معرض دولى لأجل مشهد إنساني يقبل عليه وفد الله على بيت ربهم ليناجوه وليطهروا أنفسهم ثم يعودوا عودة من فاز باكبر نصيب من حجه المبرور .

ز -- وان تنظيم التعليم ينبغي أن تتعاون عليه الحكومات التي تعتني بالحج والمعلمون والخطباء والوعاظ والدعاة إلى الله الذين يهتمون بالحج ويدعون

له ، فيجمعون الحجاج في ميقات محدود الزمان والمكان في مثـل مساجد تحدد لذلك اسبوعياً بل ويومياً عند اقتراب الموسم ليتعلموا المناسك وأخلاق القرآن وخاصة مع استخدام ( وسائل الايضاح كالصور ) وتقديم النشرات والكتب الصغيرة المفيدة التي تحقق هذا القصد

ح – ويجب أن يكون للملحقين الثقافيين في القنصليات السعودية دور إيجابي في التعليم والتنظيم وتعمم بواسطتهم التعليمات وشروط الحج

ثالثاً : ويجب تنظيم وفود الرحلات تحت إشراف معلم يصاحب زمرهم في مثل السيارات والبواخر والطيارات ليصاحبهم بارشاده وتعليمه وخبرته ومساعدته وادارته ...

١ – وإن هذا التنظيم قد أصبح معتاداً في الرحلات السياحية في العالم وتشجعه الحكومات والشركات والمؤسسات حتى أن المدرسة ولو كانت ابتدائية إن عزمت على رحلة وكانت تحترم نفسها فانها تنظم لرحلتها برنامجاً ثقافياً حتى تري طلابها ( حيثما حلوا وارتحلوا ولو ساعة ) ما ثمة من مشاهد يجب أن يروها وينتفعوا من مشاهدتها وخبرها وعبرها

٢ – وهذا ما حث عليه تعالى بقوله : « قل سيروا في الأرض فانظروا » فان السفر والرحلات أصبحت من أصول المناهج الثقافية المعاصرة ، فكيف وقد حث عليها القرآن بمثل هذه الصراحة منذ أنزل الله كتابه للناس هدى ونوراً ...

٣ – وإن العناية بتوصيل الحجاج ( عند قدومهم من بلادهم ) إلى الحجاز وباعادتهم إلى بلادهم بعد انتهاء مناسكهم إذا لم تصاحب ذلك هذه العناية التثقيفية فان أمر ذلك يصبح كما هو الواقع بأيدي من يتحكم بالحجاج ( تحكمه بشحنات البضائع بل والدواب أحياناً ) يسوقهم متى وكيف يشاء ويستوي في ذلك حال الحجاج حتى اليوم مع متعهدي الباخرات بحراً وسواق السيارات براً بل والعاملين في الطائرات جواً ، وكم وجد فيهم من يسخر من الحجاج وعباداتهم ، بل وكم رأيت

من حال بينهم وبين راحتهم حتى يتدخل بهم في شؤون عبادتهم وهو يسمعهم ( من سوء خلقه ) سوء مقاله إضافة إلى سوء المعاملة

٤ - هذا وان لكل بلد بحكم طريقه الى الحج برنامج رحلته ، وللحجاج جميعاً في ديار الحجاز برنامج مشترك ، ومن ذلك :

أ - الوقوف عند الآثار ليروا في جملة ما يرون مثل أحداث الهجرة ومواقع الغزوات اضافة إلى مشاهد أمتنا في تاريخها بما يرون في آثارها الباقية وعاقبة الذين من قبلهم ممن أجرى عليهم تعالى سنته في حكمه على الحضارات وأهلها وهم في أوج القوة من علم وصناعة وفن وسلطان ، ثم أبادهم وأباد حضارتهم وأبقى للعظة والعبرة أخبارهم وآثارهم.

ب - ولينظروا من آيات الله في الطبيعة « كيف بدأ الخلق ثم الله ينشىء النشأة لآخرة ، بما ثم من آثار الطبيعة وما تدل عليه أدوارها التكوينية (الجيولوجية) وأطوار الحياة والقرون التي مرت ، وهي تدل بآيات الأكوان على مكونها سبحانه وتعالى فتزيد في الايمان معرفة وعمقاً وخشية لله ، و « انما يخشى الله » ، حق الخشية من « عباده » المتعبدين « العلماء » بمثل هذه الآيات البينات .

ج - ولكن المسلمين في رحلتهم الى حجهم رغم هذه الأوامر الالهية لا يبصرون ذلك « وكأين من آية في السماوات والأرض يمرون عليها وهم عنها معرضون » من جهالتهم وعدم تذكرتهم بها وتعليمهم لها .

وان في تنظيم الرحلات وقيادتها بأهل العلم والنظر ( كأدلاء السواح في العالم ) ما يتلافى ذلك

د - إن رحلة الحج رحلة ثقافية تعبدية تبصر من التاريخ أحداثه ، ومن الكون نشأته وأطواره وظواهره ، فهي أجل رحلة علمية حين ننظم لها برامجها العلمية التعليمية في كل بلد من قبل علماء اجلاء تحت إشراف من يهتم بالحج وثقافته وفي مقدمتهم ( الملحقون الثقافيون ) في القنصليات السعودية ، فان هذا من أبرز

وجانبهم الثقافية والوظيفية مادام‍وا ينتسبون الى حكومة ترعى الحج وأهله وتعمل لخدمة الحجيج وتحقيق مقاصد الحج وشهود منافعه ، والملحقون الثقافيون بحكم وظيفتهم يحسون بالصراع الثقافي في العالم وكيف انتقل بذلك الى مرحلة عالمية من التعارف والدعاية في سبيل التقارب بين الامم حتى أقيمت لذلك دولياً مؤسسة الأونيسكو وعقدت المعاهدات .

وان أول خطى التعارف بين المسلمين أنفسهم بمعرفة بلادهم وآثارها الى جانب معرفة نظرات دينهم وأصوله وأركانه كالحج من عباداتهم ، فان النظرة الثقافية الى ذلك وتعريف العالم بها عامة والمسلمين خاصة من أبرز مهام الملحقين الثقافيين ... حين نعرف معنى كلمة « الثقافة » وحقها .

ه – والرحلة من الشام : مثل أقدمه لما ينبغي الوقوف عنده لمشاهده التاريخية وغيرها . ليكون تنظيم الرحلات في كل بلد على نحو ذلك :

إن الحاج الذي يخرج من دمشق براً يمر بآثار عديدة في دمشق وما حولها فاذا تخطى الحدود الى الأردن رأى مثل خرائب جرش الضخمة وملاعبها ، فرأى من التاريخ أمة وحضارة هائلة دمرها الله عليهم وذكر أن للكافرين أمثالها سنة الله في خلقه وبذلك يتعرفون على الأسباب التي تنهض بالأمم حتى إذا مرّ الحاج بعمان عاصمة الاردن رأى من مدرجها وحياة الاستعمار الروماني ما يتعرف عليه ورأى في مشارف عمان مغارة ( أهل الكهف ) التي أوى إليها فتية الايمان على ماذكرتهم به سورة الكهف .

واستعرض وعرف من أخلاق الرومان في ملاعبهم وأصول حضارتهم ما دمر الله به عليهم رغم قوة بنائهم . ثم عرج للعبرة على ( البتراء ) ليرى كيف تحتت جبالها لبلد ومحكمة ، ثم قد يرى الحاج من بعد في داخل الحدود السعودية ( مدائن صالح ) كما يرى من ثم ( تبوك ) بغزوتها وثمود بآثارها ووادي القرى وخيبر

( الظاهرة الثانية من مشاكل رحلة الحج ) :

أولاً : المساكن :

١ – تأتي الخطوة الثانية ( بعد التعليم والتبصرة بالحج ومقاصده والاعداد له والاستفادة من رحلته ) تأتي مشكلة تنظيم ( الحاجات ) بدءا ( من مساكن ) الحجاج في حلهم وترحالهم وتيسير الاسباب لهم .

٢ – وان السبيل إلى ذلك التعارف بين الديار المختلفة وهذا يدعوا إلى تنظيم منازلهم وأوقاتهم وإقامة المراكز الثابتة حيثما حلت بهم المناسك وذلك بتخصيص محلات معينة لكل قطر من اقطارهم ، على نحـــو تنظيم المخيمات والمعارض الدائمة ، وبما يعرف فيه كل قطر ببلاده ويكون ثمة المستقر لبعثاتهم (الادارية والثقافية والصحية ، ومن ثم يكون المستقر والمعرض الدائم لمعروضاتهم ( بعد أيام المناسك ) في مدينة ( جدة ) لأنها ملتقى طرقات الجو والبحر والبر ، فهي مركز صالح للاستقرار والعرض والتعارف وشهود المنافع التي تشغل عنها العبادة في مواطن المناسك :

أ – إن أسواق العرب الرحل من عهد جاهليتهم نظمت تنظيمهـــا المادي للتجارة والأدبي لمثل القاء اشعارهم واعلان مبادئهم ومفاخرهم .

ب – وان طائفـة الشيعة بحكم منهجهم (في الرحلات ومظاهراتهـا بزيارات الأضرحة وخاصة لأئمتهم وما إلى ذلك ) قد جعلهم حكومة وشعبا يبدأون هذه الخطة التنظيمية ونرى لهم من مجتهديهم وعلمائهم من يصطحبهم ويوجههم كما نرى أثر ادارتهم وحكومتهم في توجيههم وتنظيمهم .

ج – وان وفرة اهل السنة والجماعة وتعدد اقطارهم لتفرض عليهم مثل هذا التنظيم الذي سبقوا اليه .

٣ – وبهذا التنظيم يتحقق مقصد التعارف بين وفود الحجاج تعارفا فعليـاً بمعرفة اوضاع كل وفد في بلده وخيرات وطنه ومؤهلات أهله وسبل التعاون

بموقفها وحصتها وثروتها ونظام المستعمرات اليهودية وتاريخها في بـــلاد العرب واستعرض من ذلك ماضيها وحاضرها وأفكارها وما تطمح إليه الصهيونية .

وقد سمعت باذني من المليك عبد العزيز آل السعود رحمه الله في إحدى سنوات حجي ان اليهود عرضوا عليه ( شكا ) مفتوحاً موقعاً ليملأه بالرقم الذي يريد على أن يعيد إليهم ( حصن خيبر ) فان المطامع الصهيونية هذا بعض مطالبها السافرة فكيف بما تخفي من برامجها ومناهجها التي لا يبصرها ولا يقدرها من لا يستعرض من التاريخ والآثار الأخبار في ضوء ما فصل القرآن من ذلك ما فصله للعبرة والتبصرة .

ثم يشهد الحاج ما يشهده في ( المدينة ) وهو يمر من مواقعها وآثار غزواتها واخبار وحيها فيسلم على الرسول وصحبه الكرام عبوراً إلى البلد الحرام الذي أقسم الله به ( مكة المكرمة ) وكانت بين هذين البلدين نشأة الاسلام ورسوله ومنازل وحيه أيضاً في مواقف لها وقفات .

وثمة مشاهد الغزوات النبوية ومنها ( أحد ) في المدينة ، و ( الخندق ) وثمة غير بعيد « أول مسجد أسس على التقوى » في قباء وأول مسجد بجواره أقيمت فيه أول جمعة ، وغير بعيد كذلك من المدينة مسجد القبلتين حيث بلغ أهله فيه إبان الصلاة تحويل القبلة الى الكعبة المشرفة وإلى ما هنالك من مشاهد وآثار وعبر . . . يجب أن تنظم لها أوسع البرامج والمخططات الايضاحية في أمتع الرحلات ، لو ذكرنا من القرآن الكريم ما فصل من ذلك وما حث عليه بمثل قـــوله تعالى « وانكم لتمرون عليهم مصبحين وبالليل أفلا تعقلون » لتروا آيات الله وعبر الحياة وسننه الاجتماعية في خلقه وما توحيه من تربية يقوم عليها بناء الأمم في تقدمها وتوضح لها طريقها النيرة مبشراً بما تطمح إليه ومنذراً من الهلاك وطريق الدمار الذي تسير عليه على مثل حال العالم اليوم على اختلاف مبادئه ومنازعه مشرقاً ومغرباً وقد ضلت بالعالم جميعاً عن سبيل ربه الهادية النيرة .

معهم ، فان ( تبادل المعلومات ) ينتهي إلى تبادل المنافع المادية والأدبية بين أقطارهم ، وهذا ماحمل غير المسلمين على ان يجعلوا لمثل ذلك مؤسسات سموها علمية أو تجارية ونوعوا لها الأسباب ، وما أحوجنا إلى معرفتها لنتقي الأخطار بأسوة ويقظة وبصيرة وإعداد وعمل .

ثانياً : المطوفون :

وان عدم الأخذ بالتنظيم للأسفار والرحلات وأساليب الرعاية للغرباء قد ترك الأمر إلى نظام المطوفين البالي ، وكان قوامه ادعاء ودعاية كل مطوف لنفسه بنفسه أو بالواسطة – احتساباً أو سمسرة – وذلك ماكان يجعل الحجاج تزدحم عند مطوف وفي مكان فلا يلقون حينئذ حاجتهم من العناية ويلحقهم مايؤذيهم من الاهمال وسوء المعاملة بل وسوء الاستغلال بحكم مبدإ العرض والطلب من جهة وقدرة المطوف وهمته وأعوانه من جهة ثانية .

١ – وكان هذا بواقعه ومعاملته في غالب الأحيان مبعث التذمر والشكوى وسوء الدعاية التى ليست في صالح احد لادينيا ولا دنيويا لا لشعب ولا لحكومة

وان الاحساس بذلك قد حمل الحكومة من قريب في عام ١٣٩٥ ﻫ على ان تفكر بخطة جديدة فاذا بها تقتصر على أن توزع بها الحجاج على المطوفين كأن الأمر مداره على تفاوت هذا التوزيع ، وزادت بذلك المشكلة تعقيداً ان حرم الحاج ما كان يؤثره لراحته من حرية اختيار من يريده من المطوفين للنزول عنده ، ثم انقلبت رسماً مفروضاً لمن يمنع ذلك ولو نزل عند غيره التماساً لراحته فدفع الحاج الاجر مضاعفا باسم الرسم مرة لمن فرض له واخرى لمن نزل عنده بالفعل .

ان حاجة الحاج هي الاصل والتنظيم انما هو لتنظيم وتأمين حاجاته وتوفير وتيسير الخدمات له .

وإذا كان الناس يذهبون حيثما ضربوا في ارض الله بأسفارهم لايجدون نظاماً يشبه نظام المطوفين أو المزورين ، فمعنى ذلك ان هذا النظام البالي ليس اصلا

ليحافظ عليه بذاته ويوقع باسم الاصلاح ترقيعات يزداد به تعقيداً و استغلالاً . ان اختيار الحاج لمقامه أصل وما تسجيله على اسم مطوف إلا فرع لمثل الشؤون الادارية كالسفر .. والأساس في إصلاح ذلك أن يشبه ( نظام الفنادق) من جهة مختلطاً من جهة ثانية ( بنظام الرحلات الجماعية ) ، وعلى هذا فانه ينبغي ان يحافظ على هذا الأصل من حرية الحاج في اختياره لمطوفه ، بل ويجعل من حقه الانتقال والارتحال عنه تبعاً لما يحب كما يرتحل كل مسافر عن فندق لم تتوفر له فيه الخدمة والراحة فيقوموا بذلك من قبل الناس على اساس الخدمة الحقيقية بما يرضي النزلاء .

٢ ولهذا يجب التعاون حقاً وصدقاً بين الجميع لتوفير الحاجات وتيسر الأسباب ( وبأسعار ) معتدلة وأوضاع مقبولة تحمل من السمعة أطيبها عن أشرف بلاد الله . . .

٣ – وقد بدأت الحكومة السعودية من ( الاشراف على المطوفين ) للتنظيم ولكن جزئياً ، وكان من ذلك استلاف مافرضه لهم بواسطة قنصلياتها .

وان الخطوة الثانية من التنظيم ، إشرافها على توفير الخدمات ورعاية النظام الضابط لذلك ، كما تفعل البلاد التي تعنى بالسياحة والسواح والمصائف فتراقب معاملاتهم بجولات عليهم والاشراف على من يتولى أمورهم في منازلهم أو مواطن خدماتهم . . .

٤ – وهذا مايقتضي أن تتولى تنسيقه ( لجنة إدارية عليا ) تشرف على المطوفين ولو أنها منهم ، ترقب كل مطوف وما أعد من الخيام والمنازل وما يوفر لضيوفه من الخدمات فتشرف على ذلك اللجنة وتحدد لكل مطوف من النزلاء على قدر احتماله ، وتحدد الحد الأعلى لأسعاره وذلك بطريقة عملية ( لا قرطاسية حبراً على ورق ) ! .

وسبيلها إلى ذلك أن يكون تحت تصرف هذه اللجنة العليا من المباني وخاصة

التابعة لأوقاف الحرمين ، مايمكنها من ذلك فتكون ( كالتاجر الأول ) في هذه السوق ، بيده امكانية رفع الأسعار بها وتخفيضها فتستقر الأسعار وتحدد، الأماكن بنسبها على اختلاف الأحوال تحدد في حال الازدحام فوق العادة وضروراتها كما تحدد في حالها المرتقبة الطبيعية ، دون ان تجعل للعرض والطلب سلطانا اول فتغلو الأسعار غلاء فاحشا بغلوها الجنوني الذي يحدث ازمة وتذمرا وسوء قالة . . .

أ - وينبغي ان يكون لهذه اللجنة العليا من الصلاحية مايمكنها حتى عند الضرورة من تحمل خسارة مايزيد عن الحدالذي تحدده من الأسعار بحكم إشرافها ويكون الموردلتحمل ذلك مما تمدها به مواردفي طليعتها بنايات الاوقاف المؤجرة نفسها وما ينبغي ان يشاد منها في مثل حرم المدينة في الباحة التي الحقت بالحرم من وراء جدرانه القائمة اليوم وذلك باشادتها طوابق على اعمدة يسكن منها مافوق الطابق الأرضي الذي يبقى امتداداً للحرم، هذا اضافة إلى معونة الحكومة بحيث تستطيع هذه اللجنة العليا ان تمنع ( اضطراب الأسعار ) واختلافها بمثل ماصارت اليه فوضاها في بعض المواسم من زحمة الحجيج حتى اصبحت الاسعار والاجور خيالية جنونية لاتطاق

ب وتستطيع هذه اللجنة العليا ان تستعين لمهمتها بالخيام تقيمها في مخيمات تعدها حول مكة والمدينة اذا بلغ الامر حد الضرورة لاستعمال ذلك من زحمة الحجيج مفاجئة فاقت التقدير والمتوقع .

ج - وعلى مثل ذلك تكون مخيمات الحجيج في عرفات ومنى تحت إشراف هذه اللجنة العليا .

د - وربما كان الأجدي ان تجعل لذلك ( الخيام ) وقفا على الحجيج كما تكون عادة خيام الجيش ملكاً للحكومة تسكنها جنودها . ( وانما تكون هنا للحاج اقاء رسوم تحل محل الأجور ) محددة لاتتلاعب فيها الأهواء من تأثير العرض والطلب .

وبذلك ونحوه نضع حدودا أمام طغيان موجة موسمية كالسيل تأتي جارفة بطغيان الاسعار والأجور !

هـ - وعلى هذا النحو تحدد ايضاً نسبة الأرباح المعتدلة فلا تطغى بين موسم وآخر ، ويجب أن يراقب من يتجاوزها فتؤخذ منه ضريبة الأرباح على نسبة تجاوزه ، فيكون من اساءة استعماله حريته في السلطة على بضائعه ، ما يقابل ذلك بهذا الجزاء من سلطان الحاكم عليه .

و - وهذا وجه من ( تنظيم الحسبة ) التي سبق الاسلام اليها العالم ، بغية منع التلاعب بالاسعار وسوء الاستغلال وقبح الاحتكار .

ز - إن رقابة الأسعار منعا لسوء الاستغلال والفساد بين الناس وخاصة في موقف تقوم فيه العلاقة بين الحاج وأهل الدار التي احبها واقبل بهدى الايمان اليها وعلاقته تقوم على اساس من الدين والعبادة والاخاء والمحبة ومن أهم ما يجب الاصلاح بين الناس وإقامة العدل بينهم فلا يتظالمون وخاصة في موقف تستوجب فيه المودة والالفة والمحبة والرحمة والاكرام .

ح - وهذا ، ما أخذ به ( حلف الفضول ) من قبل الاسلام فقد جعل من واجب كرام مكة سد حاجات الغريب وحماية الوافد على بيت الله ، فهو ضيف الله أهل الأكرام ومن جهة ثانية هو ابن السبيل من غربته يحتاج في هذا المقام إلى حمايته من ضغط الحاجة وضغط الاسعار وما يثير اللجاج والجدال والتذمر والشكوى مما ينافي وضع الحج وعبادته وحرمة الحاج ، ويوجب ان نكون عونا للحاج على صيانة هذه الأخلاق الكريمة فلا ندع له أسباب التذمر من سوء الاستغلال بل والمهانة ثم نطلب منه الرضوخ لأنه مأمور بمجانبة الجدال بله الخصام في حجه فإن من أمر الحاج بذلك أمر كذلك ان نكون عوناً للأخ المؤمن على بره .

إن توتر الأعصاب لها أسبابها التي تؤدي إلى اضطراب السلوك ، فينبغي

معالجة الأمور بأسبابها لا أن نحمل الحاج تبعتها ونترك من سوء الوضع هذه المثيرات .

ط — إن الذي أمر رسوله أن «طهر بيتي للطائفين والعاكفين والركع السجود» وشرف بذلك ابراهيم وابنه اسماعيل منذ بنائهما الكعبة بأمره سبحانه ، انما امر بذلك ليتفرغ الحاج لطهارة نفسه ومناجاة ربه ودعائه واستغفاره وتسبيحه وتقديسه ، وهو سبحانه وتعالى الذي يوجب من ذلك على الحكومة في هذه الديار المقدسة أن تهتم باعداد الاجواء الصالحة في الحج لتكون أيامه ودياره طاهرة من كل مايعكر هذا الجو الروحي الأمثل الذي جعله الله فريضة عمر تطهر الانسان وترجعه إلى الفطرة النقية كما نشأ في احضان والديه على الفطرة .

و — ان المفاسد التي تحول دون تحقيق هذا القصد كلها من شأن ( الحسبة ) في الاسلام أن تعالج .

٥ — واذا كان نظام المطوفين بالأمس فردياً عشائريا اقليمياً ، فقد اصبح اليوم بوفود الحجيج الزاخرة المختلطة من انحاء العالم مشكلة حلتها الامم التى جعلت للسياحات والدعايات والتثقيف الشعبي وتأمين الحاجات بمؤسسات ووزارات:

أ — ولهذا وجب تطوير نظام المطوفين بهذا الاشراف المنظم على نحو ماسلف تحت اشراف لجنة عليا تجد وتسهر وسنزيد هذا البحث تفصيلا لأهميته ص ٤٥ .

المهتدون الحديثون :

وجاء العصر الحاضر بموقف جديد لحجاج جدد لم يكونوا من قبل محل نظر لندرتهم ، وهم أبناء الديار القصية ومن الامم التى دخل وفدها بالاسلام حديثاً وخاصة من البلاد الراقية حضارتها ، فانهم دخلوا في الاسلام حديثاً حين عرفوا من الاسلام مبادئه وثقافته ، فهذا ماحملهم على ترك دين آبائهم ومجتمعهم واعتناق الاسلام .

١ — فلهم أيضا من بيئتهم وحضارتهم بنظامها وراحتهم فيها ، معيار التقدير ولهم من نظرهم بسمو مبادىء الاسلام مايقصدون بالحج ولقاء الحجاج ومطلبهم الاول

أن يروا أثر الاسلام الحي بواقعه في ام قراه وفي جوار رسوله الاكرم ﷺ

ب - فمثل هؤلاء القوم تجب لهم العناية الخاصة على مثل عناية الرسول ﷺ بالوفود حتى الاعراب والمؤلفة قلوبهم ، ليمتلىء قلبهم بحب الاسلام ويزدادوا إيماناً ويعودوا بعزم إلى قومهم دعاة إلى الله وقد ازدادوا علماً وبرهانا من حسن المعاملة وبما قدم لهم من المعلومات التي يحتاجون اليها في عصرهم وبيئتهم وهي تنظم لهم أمورهم في بلادهم تنظيمها الاسلامي الجديد المرجى لاصلاح مفاسد ما كانوا عليه قبل اسلامهم :

١ - ولهذا يجب أن نخصص لهؤلاء القوم لجنة من المضيفين من أرباب الثقافة والمنزلة فيحيطوا بهم إحاطة العون والاكرام والتعليم وتوثيق روابط إخاء الإيمان وتنظيم الدعوة إلى الله في بلادهم وينبغي ان يكون (للجنة المضيفين الخاصة) التي تشرف على ماسلف اعوان من الشباب وطلبة الجامعات والكشافة وأعضاء الاندية الرياضية والثقافية .

وينبغي أن نعد لهم محاضرات للتوجيه ومجالس للبحث والسمر فيعودوا إلى بلدانهم بأحسن دعوة واكرم دعاية وأطيب فكرة عن الاسلام واهله معاً .

ب - وبمثل هذا التنظيم نجعل لهم برنامجاً سياحيا ثقافيا بصورة خاصة تزيد عناية على برامج السياحة العامة لبقية الحجاج .

بهذا نعد من الحج أعظم موسم سياحي عالمي ، وعلى ذلك يصبح اهتمامنا بزيادة أيام الاقامة للحاج بديل ترك الامور على حالتها الاولى من المطوفين وإدارة الحج وهما على وضعها الراهن القاصر ، حتى لا يكون هم الجميع شعبا وحكومة إلا تعجيل ترحيل الحجاج على حد الشعار القديم القائل ( زادك وزوادك ياغريب ارحل لبلادك ) . .

إن التنظيم للحج ينبغي أن يعد على مستوى هذا العصر لنجعله محققا للمنافع على قدر العصر ، ولا يجوز ان يبقى على ماوجدنا عليه آباءنا من الحالة المؤسفة وبمثل هذا نعود بحق خير أمة أخرجت للناس في هذا العصر أيضاً .

# منافع الحج

١ – ان اعتبار الحج ركناً من أركان الاسلام الخمسة يوجب علينا أن نشهد منافعه ، وهو فريضة العمر وغنيمته ،وقد حبب به رسول الله حتى أنه ﷺ سئل عن فرضيته أفي كل عام يا رسول الله ؟ قال:( لو قلت نعم ، لوجبت ولما استطعتم ) . لذلك كان من أولى ضرورات الحج معرفة أحكامه واعداد النفس لتفوز بثمراته .

٢ – وإن أول ما نعلم من أمر الحج أنه كالصلاة التي نتجه فيها إلى بيت الله فالطواف بالكعبة المشرفة عبادة لذكر الله تعالى ، فيتصل الانسان بعالم الغيب وهو في حياته التي يعيش فيها في عالم الشهادة والحس عالم الغفلات والشهوات والمطامع .

أ – وان نداء الايمان نداء الله لعباده :

حي على الصلاة لاقامة الصلاة هو على شاكلة نداء الحج الذي يسمعه المسلم فيهوي فؤاده مقبلا على الطاعة ويجيب مناديه : ( لبيك اللهم لبيك ، لا شريك لك لبيك ، ان الحمد والنعمة لك والملك لا شريك لك ) .

فيخاطب العبد بذلك ربه ويناجيه يستعين به ويستهديه ويسأل العبد من ربه ما يرجوه رغباً ورهباً لشؤونه في دنياه وآخرته وشؤون من يهمه أمرهم من أهله وذويه وبني وطنه وأمته والناس جميعاً .

ب – وان أشرف مواقف الانسان وأعلاها هداية وتوفيقاً موقف يذكر فيه الانسان نفسه على حقيقتها ( بمولدها ومصيرها وما يتقلب فيه من ذلك من

نعمة الايمان والحياة وهو في ذلك يتوجه إلى خالقه الغني عن عباده بمناجاته ودعائه .

وان اجل مواقف العباد بين يدي ربهم على مدى التاريخ كله وأرفعها منزلة هو الموقف الذي كرم الله به محمداً ( صلعم ) في يوم إسرائه من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى حيث كان العروج به إلى السماوات العلى بجسمه وروحه ﷺ

أ — وكان على نحو من ذلك شرفاً ورفعة ( ميقات موسى عليه السلام ) أربعين ليلة لمناجاة ربه وهي التي ختمت بنزول الألواح عليه من السماء وفي نسختها هدى التوراة المنزلة .

ب — وكان للمسلم من الموقفين حظ وميقات بصلاته وحجه ، وذلك ان الله سبحانه وتعالى قد ختم ليلة المعراج وموقفها الجليل بما خلد به ذكراها وذلك بفريضة الصلاة لتعرج بها روح المسلم خمس مرات يومياً بوقفته الخاشعة بين يدي ربه يذكره بما علمه ويناجيه بآياته من قرآن ومن تسبيح ربه وتكبيره وهو يذكره بآلائه ودعائه .

وبهذا كان للمسلم حظ من عروج رسوله بوقفته هذه في صلاته متوجهاً إلى ربه ... وكان له بعد ذلك موقف وميقات مع ربه حين تحل أشهر الحج ويتوجه المسلمون إلى موقفهم من عرفة .

٤ — موقف عرفة :

وهو ميقات يتجدد ، في كل عام مرة .

وان الله سبحانه وتعالى كرم بهذا المسلمين جميعا فلم يخصص تعالى بهذا الموقف فئة كالتي اختارها موسى عليه السلام حين اختار من قومه سبعين رجلا لميقات ربه يتوجهون مع موسى لمناجاته واعتكاف الأربعين ليلة ، وانما فتح الله بالحج ضيافته للمسلمين جميعا أن يقبلوا على تلبيته تلبية لنداء أبيهم ابراهيم عليه السلام لهذا الميقات المعلوم بأشهره وأيامه المعلومة ، فيتقدم لذلك المسلم بنفسه ويرشحها بالانضمام إلى إخوانه ليكونوا وفد الله في الميقات المحدد بزمانه ومكانه ، و( الحج

عرفة ) ويتمون المناسك ويعظمون شعائر الله ويذكرونه كما هداهم إليه قائلا: « كذكركم آباءكم أو أشد ذكراً » .

٥ - وفي هذا الموقف من ( عرفة ) يعود مشهد الخليقة الى يومه الأول حيث يتجلى الخالق سبحانه وتعالى على عباده الخاشعين الذين يرجون رحمته ويخافون عذابه بما يتجلى عليهم بغفرانه ورضوانه حتى ( يباهي بهم ملائكته ) .

فترى الحجاج في موقفهم هذا بين يدي ربهم الى جانب الملائكة الذين « لا يعصون الله ما أمرهم ويفعلون ما يؤمرون »

إنه مشهد يتجدد فيه العهد لأنه أصل مواقف الانسان الأول آدم عليه السلام وأجلها إكراما وإجلالاً وذلك حين قال تعالى لملائكته : « إني جاعل في الأرض خليفة » فقالوا لما أعلمهم من أمر هذا الخليفة وذريته مقالة الاستفهام « أتجعل فيها من يفسد فيها ويسفك الدماء ونحن نسبح بحمدك ونقدس لك » فكان حين ذلك الجواب الالهي ببيان عملي كشف للملائكة عما وهبه تعالى لآدم وذريته من الخصائص والمؤهلات التي أعدهم الله بها لسكنى الأرض واستخلافهم عليها وعمارتها .

وذلك أنه سبحانه وتعالى « علم آدم الأسماء كلها ثم عرضهم على الملائكة ، فقال : أنبؤني بأسماء هؤلاء إن كنتم صادقين » أنكم أيها الملائكة أهل لعمارة أرضي وسكناها وحينئذ عرفوا أن للانسان شأنا وعبادة وحينئذ قالوا معتذرين « سبحانك لا علم لنا إلا ماعلمتنا » وأعددتنا له من تسبيح أقمتنا عليه وخدمة ، وللانسان ما فضلته بـه من علم ومعرفة وقدرة واستحق بها خلافتك على ملكك من أرضك « إنك أنت العليم الحكيم » .

إن هذا المشهد من مشاهد الخليقة في دوره الانساني الأول مع آدم عليه السلام هو الذي يتجدد مع الذرية وكان ختام الموقف مع آدم أن أسجدهم ربهم لآدم فكان على نحو ذلك المباهاة الملائكة بوفد الله في عرفة .

ـ ولذلك كان موقف الطاعة (بسعي الحجاج الى ربهم من كل فج عميق من فجاج الأرض ليذكروا اسم الله بالتلبية والتعظيم والتسبيح والتهليل والتكبير والتقديس ) هو الموقف الانساني ( الآدمي ) المتجدد مع الملائكة بين يدي الله عاما فعاما يقفون له وقفتهم الخاشعة في عرفات وهضبتها بين الجبال التي أقبلوا اليها مهاجرين الى الله من ديارهم ومواطن عيشهم ورغدهم الى حيث ناداهم ابراهيم عليه السلام بأمر ربه فجاءوا الى واد غير ذي زرع عند بيت الله المحرم وتخطوا شعاب مكة وجبالها حتى يقفوا بين يدي الله ملبين ذاكرين خاشعين بين هذه الجبال على هضبة عرفات وما يلحق بها من المشاعر .

٦ إن ( الحج عرفة ) لهذا المشهد الجليل مع ما تفرع عنه ولكل من المناسك كذلك دواعيه وذكرياته .

ويكاد المتوجه الى ربه ( في هذه المناسك وأذكارها ) أن يرى ربه لولا أنه « لا تدركه الأبصار وهو يدرك الأبصار » كما كاد أن يرى الملائكة في موقف المباهاة، وعلى مثل ذلك يكاد يرى إبليس في منى عند الجمرات فيرجمه حين يرجم هذه الجمرات .

إن هذه المواقف بمشاهد الحج تجعل عبادة المسلم بحجه أجل عبادة ، ان غنمها مرة غنم العمر كله ومن حق من عرفها إن استطاع أن لا تفوته في سنة من عمره .

وفي ضوء هذا ندرك معنى قوله ﷺ بلهجة التقريع ( من مات ولم يحج فليمت إن شاء يهوديا أو نصرانيا ) وكان بالمقابل بل وبحق من عرف مذاق ما هوى إليه فؤاده أن يعود الى الحج وميقات ربه في كل عام إن استطاع الى ذلك سبيلا .

٧ - إن هذه المواقف بمناسكها ومراميها لون من ألوان عرض تاريخ الانسانية الصحيح على وجه الأرض وهو يوضح مسيرة الانسانية وسلوكها منذ بدء الخليقة والساعة الأولى لخلق الانسان الأول آدم عليه السلام .

لهذا كان الحج أجل دروس الحياة ايماناً ومعرفة وتطهيراً للقلوب وإنارة للعقول وشداً للعزائم فهو موقف الرفعة والكرامة للانسان وانسانيته التي استعمرت الأرض وعرفت حق العبودية لله وحده ولهذا كان الحج من أركان الاسلام الخمسة ركناً تهوي له الأفئدة المؤمنة .

٨ – وان مناسك الحج بعباداتها تتصل بصميم حياة الانسان بصفته الفردية والاجتماعية وليست طقوساً جوفاء ولا تقاليد عمياء ولا حشداً باسم الدين ورموزه لعيد ومهرجان ، فهي آيات بينات وهدى ونظرات عرفان للانسان وسلوكه :

أ – لهذا كان الحج عنوان ايمان ومدرسة تربية يترك في الانسان أثره ولو فاز به في العمر كله مرة يطوي بها الانسان صفحة أمسه بالتوبة ويفتح صفحة الغد بالبر من الحج المبرور الذي فاز به وغفر الله فيه لعبده ذنوبه وباهى به مع وفد الحجيج ملائكته .

ب – ولهذا ونحوه كان الحج أكبر مظاهرة انسانية تاريخية تمثل الانسانية على حقيقتها بأضخم مظاهرة عالميـــة للايمان والمعرفة والتربية والسلوك على النهج الاسلامي وطريقهم الأقوم .

جـ – وإذا كان هذا مقدار الحج وأثره فإن معرفة أحكامه والتزام القيام بها فريضة في دين جعل ( طلب العلم فريضة ) وجعله ممتداً ( من المهد إلى اللحد ) .

د – وان إعداد النفس للمشاركة لهذه المواقف مع وفد الله ( من موقف آدم مع الملائكة إلى موسى في مناجاته إلى محمد ﷺ في معراجه على ما أسلفت ) وهو الذي يجعل الحاج ( الذي تعلم أحكامه وحكمه وسعى لها ومارس عبادتها غير غافل عنها وعن حكمتها ) .

يجعله يفوز بحظه من التقوى على نحو ما نبه اليه تعالى قائـلا في نسك الحج وذبائحه : « لن ينال الله لحومها ولا دماؤها ولكن يناله التقوى منكم » فان التقوى هذه ثمرة ايمان وعلم وعمل وعبادة ، اتسع افق نظرها من بدء الخليقة

الى أبعد الآفاق الانسانية مهما تباعدت فجاج أرضها أو أزمان تاريخها ...

هـ – وان هذه الثمرة من التقوى لتتصل من الفطرة الانسانية بأوثق صلاتها الطبيعية على ملة ابراهيم الذي اذن بالحج وهاجر حيث وجهه الله الى متبوإ بيته فسار مسيرته وقداتخذ الله ابراهيم خليلا وكان من سيرته وولده اسماعيل أن عمر الكعبة بيتاً لعبادة الله اعلانا لتوحيده بعدما سبق له أن حطم الاوثان في بلاده التي نشأ فيها في بيت أبيه من أرض الكلدان بين النهرين ( دجلة والفرات ) .

و – إن الحج الذي يقوم على هذه النظرات ، التي تصل الحاج بصميم الحياة في أجل مواقفها ومشاهدها حتى يفوز لنفسه بتقواها هو في الوقت نفسه أجل مظاهرة جماهيرية عالمية في أعظم معرض دولي لأشرف هدف ترمي إليه النظرة الانسانية وهي تعلن في أرض الله مبادىء الاسلام التي اتسمت بالفطرة وسمت بالانسان الى رتبة مباهاة الله به ملائكته وهو مايزال على ظهر الأرض التي قال له في حقها ربه : « واستعمركم فيها » فاذا هو الرجل الذي يعمل الخير ويلتزم به في أعماله التي يزنها بموازين الحق صلاحاً للأرض واعماراً لها وحرباً للفساد فيها على ما أدرك من معنى الحياة ومعركتها الدائرة بين الخير والشر والحق والباطل على ما بين الله في ذلك أمره القائل : « ولولا دفع الله الناس بعضهم ببعض لفسدت الارض » ولهدمت « صوامع وبيع وصلوات ومساجد يذكر فيها اسم الله كثيراً » ، ولما قام دين يعبد الله في عصر ولا مصر ولا بادية .

ز – وان التقوى التي تستقر في النفوس لترسم هذا المنهج في أعمالها وسلوكها هي من ثمرات الحج بنظراته ومناسكه .

٩ – إن الحج (لما عرفت من شأنه) ركن في الاسلام وفريضة ولو في العمر مرة ولهذا فإن على من فاته أن يعتبر ذلك ديناً عليه يقضيه عنه ذووه وفي مقدمتهم ابنه لأن أبناءكم من كسبكم بحكم النشأة والتربية والخلفية و ( إذا مات ابن آدم انقطع عمله إلا من ثلاث : صدقة جارية أو علم ينتفع به أو ولد صالح يدعو له )

و ( حق الله أولى أن يقضى ) وأولى من كل دين آخر لئلا يفوت المسلم من الحج هذا الحظ ولو بعد الوفاة بالقضاء عنه .

٩ - وعلى مثل ذلك جعل الله من أخطاء الحج أو ما ينقص من وجائبه مايجبره جبراً ان فاته أو قصر فيه بمخالفة حتى حين يعجزه الأمر لمثل (الاحصار) وتعذر مواصلة السفر إلى بيت الله بعدما أحرم ، أو لمثل المرض وما يتأذى به ولم يتمكن من الصبر على أذاه حتى يتم مناسكه ويتحلل من حرمات حجه .

١٠ - والحج بعد هذا شعار وعبادة « ومن يعظم شعائر الله فإنها من تقوى القلوب » .

وان أيام الحج وبلاده بمثابة مصح نفسي فكري يذكر الانسان من غفلته ويصله بعالم الغيب في نظراته حتى لا تضل به مسالك الحياة عن الغاية قبل الرجوع بالموت إلى ربه ، ويكون عمله لدنياه عملا لآخرته وهو يصلح في الارض ويحارب الفساد ويقيم الحق ويعمل الخير ويلتزم في موازينه بتقوى القلوب النيرة المبصرة طريقها من رحلة هذه الحياة إلى قبره إلى موقف حسابه ومستقره في آخرته .

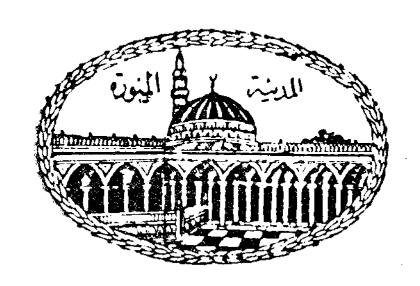
أ - وان سعة المشاهد هي التي تجعل من دعاء الحاج أن يقول : ( اللهم أصلح لي ديني الذي جعلته عصمة أمري ، وأصلح لي دنياي التي جعلت فيها معاشي ، وأصلح لي آخرتي التي اليها معادي ) فهي مشاهد بأوسع آفاق المعرفة . إن معرفـــة المسلم لنفسه وربه معرفة من يرى حقائق الوجود كله والانسانية من بدء إلى خاتمة على ما يستعرض من معاني الحج ومشاهده ، وما يستوحي منها بقلبه وعقله وعزمه .

ب وان حجاً هذه آثاره وآفاق نظره قد حشد وفد الله حشد من وطن نفسه على بذل جهدها جسدياً وأن لا يبالي بثوب ولا راحة ، يسعى أشعث أغبر كأنه لابس وهو (على ظهر الارض) كفناً لموته وقد وطن نفسه على بذل وقته وماله ونفسه ونفيسه فماذا يكون شأنه وهو يرى إخوانه في مشارق الارض ومغاربها ؟

انه بلا شك يرى من منافع الحج ما تمتد اليه العزمات وترقى اليه الهمم مادياً ومعنوياً لدينه ودنياه ولنفسه وذويه والمسلمين جميعاً وأهل الارض قاطبة ؛ ولذا كان الحج مؤتمراً أي مؤتمر وجيشاً أي جيش حين يتزود الحاج من حكمه وأثره مايرجع به الى وطنه بمشاعر البر والتقوى ومن ورائه العالم الاسلامي بإخائه وولائه.

فاللهم يسر لنا حجاً بعد حج وعمرة بعد عمرة وتقبل منا وأكرمنا بما أنت أهله وزدنا منك قربى بعفو وعافية ورضوان يا رب العالمين .

واجعلنا أهلا لما أكرمتنا به من هذا الدين لنكون أمة الايمان والقول والعمل والبذل والتضحية على ما يرضيك عنا ، ونصلح بـــه في أرضك ما أفسد المفسدون والحمد لله رب العالمين .



# الحج معرض امة ومنبر دعوة

أولاً : إن الحج أبرز عنوان عالمي للاسلام، بدعوته ودعايته ، فيه اذان للناس وبلاغ ، تصاحبه (من لسان الحال) أبلغ ظاهرة اجتماعية دولية .

١ ـ وان لغيره من الأديان مهرجاناتها ومظاهرها الاجتماعية ولقاءاتها في أعيادها ومباهجها ، ولكنه ليس في الأرض دين أظهر دعوة ، واجمع الأمة من الاسلام ، فهو دين الجمعة والجماعة والحج ، فالاسلام يدعو دعوته يوميا على رؤوس المنائر خمس مرات ، حتى ليسمع نداؤه في البادية القفراء ، كما يسمع في القرى والمدن والعواصم ، ويحشد جموعه لصلواته هذه ليلا ونهاراً في مساجده المعدودة بأوقات محدودة ، كما يحشدهم اسبوعيا لصلاة الجمعة ، وفي المواقف الجامعة في سلم وحرب إضافة إلى العيدين ، ولهذا كانت عقيدة الاسلام علانيــة بأوسع معاني الاعلان ، بلاغاً للناس كافة ، بلسان مقالها كما كانت دعوتها بلسان حالها وأعمالها وحشودها .

أ ـ وان هذا الدين قوامه أركان ايمان يقوم عليها بناء النظر والمعرفة وإلى جانبها أركان عملية للطاعة ، والعبادة المسماة (أركان الاسلام) ، وهي دعائم المنهج التربوي على أساس تلك العقيدة من اركان الايمان ، ولكل عبادة من الثمرات حكم ومقاصد اضافة إلى مايجمعها جميعاً على ثمرتها من التقوى .

ب ـ وان من أبرز ذلك ماتحمــله كلمات الدعوة الأولى اليومية المتكررة ببلاغها ودعوتها إلى الصلاة دعوة تبدأ من الايمان بتكبير الله واعلان الشهادة بوحدانيته وصدق رسوله ، وتوضح من بيان المنهج العملي دعوتها إلى الصلاة وجماعتها وتبين ثمرتها انها دعوة الفلاح للانسان في حياته العاجلة والآجلة ، ثم تختم بمثل مابدأت به من التكبير وما يلحق ذلك من دعاء وصلاة وتسليم على الرسول الامين .

جـ - وفي هذا الاذان انموذج لخطة الدعوة ببيان المباديء لعقيدة ونظر، وبيان المنهج لخطة وعمل صالح، وبيان للنتيجة والفائدة التي تثمرها وتهدي إليها.

د - وفي الصلاة تذكرة بالله واليوم الآخر تنهى عن الفحشاء والمنكر، وفي الصيام ماأوجبه «لعلكم تتقون» وفي الزكاة تزكية النفس وطهارتها من امراضها وأثرتها وشحهـــا وما يستتبع ذلك، وفي الحج من ثمرات ذلك جماع العبادات كلها.

ثانيا: وان بلاغ الحج ودعوته بدأت بأمر الله الذي كلف به ابراهيم الذي بنى الكعبة المشرفة بأمر ربه وقال له: «وأذن في الناس بالحج» وكان من الاعلان الدائم تحديد ميقاته ليكون نداء بلسان الزمان عند حلول هذا الميقات «الحج أشهر معلومات» تبدأ بداءتها بعد التمهيد للحج بعبادة الصيام واعلان يوم عيده، وهو مبدأ ميقات الحج بزمانه وفي تحديده بهذا الوقت بالذات أبلغ تنبيه لدعوته أهل الايمان والبر والتقوى أن انتهت عبادة بفرضها وقبولها وفرحة جزائها بعيدها دامت شهر الصيام، وبدأت عقبها عبادة أعدت لها النفوس المؤمنة للسفر والحج الاكبر وفرحة أيامه وعيده، فهلموا من كل فج عميق من فجاج الارض إلى (ميقاته) فهو بمكانه حشد تبدأ به مشاعركم المعظمة، واقبلوا محرمين من الميقات على بيت الله الذي تتوجهون اليه كل يوم خمس مرات في كل صلاة تعظمون ماعظمه الله وتستشعرون له الحرمة وتستجيبون للنداء الذي سمعه وجد انكم قائلين: (لبيك اللهم لبيك لا شريك لك لبيك، إن الحمد والنعمـــة لك والملك لاشريك لك).

١ - وهكذا يسمع المؤمن نداء الحج من أعماق قلبه بما تملكه من الهوى هوى الايمان على مادعا ابراهيم ربه، «فاجعل افئدة من الناس تهوي اليهم» تهوي إلى مكة، واهل مكة وهي البلدة التى أقسم الله بها قائلا: «لا أقسم بهذا البلد» وهو قسم التنويه بشأنها والتعظيم لحرمتها بحرمها ومسجدها وكعبتها.

أ – وان عصرنا عصر يصح فيه ان يسمى عصر الدعاية ، لما توفر من أسبابها التي تملأ الأسماع والأبصار ليلا ونهاراً وتهز المشاعر ، وتتلاعب بالعقول والافئدة ببراعة أساليبها المتنوعة وتنوع فنونها ولو كانت باطلة خادعة .

ب – وان سلاح الدعاية يبدأ تمكنه من نفس الانسان الأول آدم عليه السلام بما أغراه به الشيطان بوسوسته حين أيقظ منه المشاعر الكامنة بقوله الموثق بقسمه أنه : « ما نهاكما ربكما عن تلكما الشجرة إلا أن تكونا ملكين أو تكونا من الخالدين » ولكل إنسان مشاعر كامنة يوقظها داعية الاغراء والفتنة ، غير أنه ليس للشيطان سلطان على الانسان المؤمن ، وإن كل مايستطيعه هو الاغراء بما تزينه دعايته للانسان كما يصرح بذلك الشيطان غداً يوم القيامة لمن تبعه وهوى بهم معه في النار : « وما كان لي عليكم من سلطان إلا أن دعوتكم فاستجبتم لي ، فلا تلوموني ولوموا أنفسكم » .

ج – وان ميزة الانسان على الحيوان بسمعه وبصره وفؤاده وهو مسؤول عن أمانتها ما أحياه الله بها وهي سبيله لاكتساب المعارف التي يتميز بها عن الحيوان وخص لها بالبيان .

د – وان وسائل البيان هي وسائل الدعوة والدعاية وبها تقوم الحجة لله على خلقه ، وقد كثرت دعايات الباطل وكانت منوعة بفلسفة وآداب وفنون ، ونظرات ومناهج ، وقدمت للاغراء على مستوى يناسب العصر وأهله ، فأين ما يقابل ذلك من الدعاية الاسلامية اذا صدقنا المقارنة ؟

هـ – ان الاسلام الذي كانت له ( كما أسلفت ) أبرز مظاهر الدعوة والدعاية وأنزل الله تعالى بالبيان العربي قرآنه المعجز ، قد تخلف أهله ودعاته عن فهمه ودعوته بما تقوم به الحجة لهم على الناس على مستوى عصرهم وأساليبه ، بل كان من تخلفنا في أساليب الدعوة أننا لم نأخذ حتى من دعوة الصلاة منهجها ولا من دعوة الحج مسيرته في الارض بظواهرنا المتخلفة ، فقد جعلنا حتى مثل الصلاة والحج على مثل حالنا من حقائق تخلفنا .

و – ان ألسنة الدعوة الاسلامية ما تزال بابلغ مظاهرها على مستوى صيحات مضخمة لمهرجانات تردد فيها شعارات وكلمات خطابية تمضي آثارها مع ساعتها على شاكلة خطبنا الاسلامية لأنه ليس لها هدف جامع ولا منهج واضح ولا تجسد بعمل او مشروع «وسماً» فموسماً ، ولهذا فهي لاتبلغ من نفوس الناس مبلغاً يهز مشاعرهم إلا مؤقتاً لأنها لاتثير عقولهم ولايبصرهم بطريق العمل الجدي فينهضوا به ، ويزدادوا من ذلك ايماناً خشوعاً وعرفاناً وهماً لما يهديهم من اسلوب العمل بما يحقق في المسلمين شخصيتهم التي يكونون بها خير أمة ، شهداء لله على الناس في عصرهم على اختلاف أمصارهم ، حتى يؤدوا بهذا حق البلاغ الذي فرضه الله عليهم إلى الناس كافة .

و – ان الصراع في هذا العصر من حرب سافرة إلى حرب اقتصادية مهدت لها الدعايات حتى الثقافية ، وكان من نماذج ذلك إصدار الولايات المتحدة ( اثناء الحرب العالمية الثانية ) مجلة اسمتها ( المختار ) ، ليكون فيها عصارة المجلات والبحوث الهامة ، وكانت على ذلك من ألوان المجهود الحربي بدعاياته بالاسلوب العلمي لتنفذ منه إلى وجدان القاريء حين يفتح الاسطر من دعاياتها الحربية برفق دون أن يشعر ولو كان على حذر ، وقنعت الولايات المتحدة بهذا القدر ، لعمق الاثر .

ز – لقد أصبحت الحرب اليوم في أقوى أساليبها صراعاً حربياً ثقافياً ، وقد استعلن بذلك أطرافها بين أهل الجبهتين بما يسمونه بلغتهم المستعجمة ( ايديولوجية ) ، فالحرب هي حرب ثقافية تقوم على اصول تعتمد المبادىء والنظم والافكار ، التي تستعلن بها وتدعو اليها ...

ح – ونحن اذا نظرنا إلى انفسنا بمنظار هذا الواقع فأين نجد أنفسنا ؟

إن كل المبادىء والنظرات أخذت تغزونا في عقر دارنا باسم العلم والادب والفن والفلسفة والاجتماع منذ تركنا مقام الامامة في الارض والهداية للعالم وذلك بحكم تخلفنا عن السباق مع أهله .

ط - وحسبنا من الحديث عن الحج أن نسأل : ما هو مجهودنا في موسم الحج لابراز مبادىء اسلامنا بنظراته ومناهجه وحكمته بصورتها الدولية التي يحشد لها الاسلام أعظم مسيرة في تاريخ الارض من كل فج عميق عاماً فعاماً ؟ !

أين محل النظرات الاسلامية من النظرات المتصارعة معها من ثقافات العالم المعاصر بدعايات أهله المختلفة؟ مع أن دعوة الاسلام تقوم على الحق والخير والهداية للناس كافة ، فهي المبادىء التي تحقق للانسان سعادته وفوزه وفلاحه ، وهي النظرات التي تخرج الانسانية من ظلمات صراعها العالمي إلى النور نور الله وهدايته بموازين الحق والخير التي فصلها القرآن بآياته البينات البليغة .

ي - إن الحج بظاهرته الدولية إعلان لمبادىء الاسلام بلسان الحال ولسان المقال ، حين ينظم الحج تنظيم العصر بأساليبه المرموقة على نمط يستوي مع تنظيم السياحات والرحلات والاندية والجماعات المنظمة والفنادق والبيوت المفروشة بمثل بيوت الشباب والنزل ( البانسيونات ) ، والبيوت المستعدة لتقبل الضيوف ، بديل نظام المطوفين واحتكاره .

ك - إن الحج يوحد بين وفوده ومشاعرهم وأفكارهم ولكن أين حاله وحال أهله بواقعهم من المقاييس العصرية ؟

وأين المقارنة في وضعنا ودعايتنا حتى نبرز للغير من مبادئنا ما جعلنا الله به « خير أمة أخرجت للناس » منذ أن جعلنا « أمة وسطا » بينهم لنكون شهداء لله على الناس ..

ل - إن لكل عصر أهله بمشاعرهم وأفكارهم التي تسود فيهم ، ولهم حاجاتهم ومستوى عيشهم فلهم من ذلك ألوان في الدعوة والدعاية بفنونها التي تنفذ إلى قلوب المعاصرين ومشاعرهم .

وان لدعوة الاسلام معالم تكشف عن حدود من نظراته في كل أمر بما فيه الهداية للناس كما قال تعالى : « ما فرطنا في الكتاب من شيء »

م – والعجيب من حال المسلمين بعد هذا انك تجد نظرات كل دعوة لكل أمة من الأغيار قد نفذت إلى ديارهم الاسلامية ، وتمكنت من قلوب وعقول كثيرة من ابنائنا حتى حملت كثيرة كاثرة منهم على الشك باسلامهم وصلاحه لزمانهم بل كانت الردة فيهم أي ردة تقوم على أصول غير اسلامية من النظر والمعرفة وهما الاصل الذي ماتقوم عليه صخرة الايمان أو يتحطم بهم بذلك الايمان مع أهله .

وكان من أثر ذلك ما يتخبط به العالم الاسلامي اليوم ثقافياً واجتماعياً وسياسياً وهو نتيجة تخلف الكثرة الكاثرة وخاصة من ألسنة المنابر والمساجد والمعاهد وأهل التربية والسياسة تخلفاً أي تخلف عن فهم عصرهم بلغته ومشاعر أهله وحاجاته ، فان للمعارض الفكرية ما للمعاروض التجارية من فن في عرضها في ثوب بل في أثواب تلائم العصر على مستوى يمكن المسلم أن يقابل دعوة الغير بدعوة اسلامه ويقدم منهجاً بديل ما يقدمه له ليكون صيداً أو مغنماً من وراء شباكه .

إن اعلان الحق ودعوة الخير والهداية الالهية ينبغي أن تكون بآيات بينة من هداية الله لعباده وهو القائل : « أن علينا للهدى » فتعرض بما يخاطب أهل العصر بلغة عصرهم من بيناته ، وحاجاته وفي طليعتها ما تميز به هذا العصر بمستوى ثقافاته وعلمه .

ن – واذا كانت الكعبة المعظمة متجه القلوب المؤمنة بنظرها وأفئدتها فان الدعوة بلسانها وفي موسم حجها يجب أن تكون أرفع دعوة وأوضح منهج يخاطب العصر وأهله بمستوى العصر وأهله فلا ترتجل الكلمات ارتجال الساعة من حماس حشد وانفضاضه بل تعد العقول ما تعده وتبرز الفنون ما تبرزه على أسلوب المعارض الفنية المهيأة ، لتملأ الاسماع والابصار وتحرك في النفوس أثراً وتبعث أملا وتحقق رجاء وترسم للاعمال منهجاً ، وبذلك يكون ( صوت الاسلام ) من مكة المكرمة منبراً للعالم الاسلامي كله ولكل داعية حيثما كان من أرض الله ويكون إماماً لتوجيه العزائم في العالم الاسلامي كله .

- وان الحج بموسمه هو قمة المواسم بدعوته إلى الله ، وهذا ما يجب أن يبرز أثره بمنهج موسمي يوضح من الاسلام نظراته ومناهجه التي تعالج مشاكل العالم سنوياً في ضوء مبادىء الاسلام الراسخة لتستمع الانسانية إلى كلمته الحكيمة من الحق والخير والهداية في كل موسم عاماً فعاماً .

س - وان الحروب المستمرة في العالم (سافرة وخفية اقتصادية واجتماعية وسياسية) بحاجة إلى ان تقال فيها كلمة الاسلام صريحة مدوية وهو الدين الذي انزله الله ليخرج به الناس من الظلمات إلى النور دائماً وأبداً ... الى قيام الساعة .

ع - إن العالم كله بحاجة إلى مبادىء الاسلام لما يقوم عليه من الايمان والطمأنينة والسلامة بلا خوف ولا حزن ولا آثام ولا عدوان ، فإن طريقه المستقيم يمتد تحت هذه الأضواء من حياة الفرد إلى حياة الجماعة إلى علاقة الأمم بعضها مع بعض على حد سواء .

ف - إن مبادىء الاسلام ودعوته تقوم على أسس صريحة راسخة قوية يمثلها الحج بلسان حاله ومقاله .

١ - وحسبنا من المبادىء الممثلة بالحج ان يكون اوضح نداء فيه نداء الله ان : « يا أيها الناس إنا خلقناكم من ذكر وأنثى وجعلناكم شعوباً وقبائل لتعارفوا إن أكرمكم عند الله أتقاكم » .

وقدأسس هذه الدعوة على النسب الجامع الذي أعلنه رسول الله ﷺ قائلا للناس جميعاً : ( كلكم لآدم وآدم من تراب ) ليوثق الاخاء بالتواضع خضوعاً لأمر الله الذي كرم الانسان وفضله على كثير ممن خلق حتى نبه تعالى إلى منته على الذرية جميعاً قائلا : « وحملناهم في البر والبحر ورزقناهم من الطيبات وفضلناهم على كثير ممن خلقنا تفضيلا » .

٢ - من مبادىء الاسلام أنه جعل أول الخطى إلى هذه الكرامة الانسانية أنه أسجد له تعالى لآدم ملائكته حين أبرز تعالى للملائكة شخصية

آدم بمزاياها القائمة على العلم ومنه عبادة الله مع ما يلابس ذلك من الخطيئة والتوبة والانابة إلى ربه وبذلك رسم له طريق الحياة السوية التي يثمر العلم فيها والهداية من تقوى الله ثمراتهه من استخدام القدرة .

وإن كل ما في الطبيعة مسخر للانسان بأمر الله تعالى لعمارة الأرض وخير الانسان والانسانية جمعاء، بعد أن رسم تعالى للقدرة طريق العمل ومنهجه وحمل الانسان تبعته وجزاءه بموازينه التي أنزلها بينة في كتابه وسنة رسوله الحكيمة .

فالعمل الصالح وإقامة العدل واستعمار الارض باصلاحها وممارسة الفساد فيها واستعمال القدرة لخير الانسان على أسس علمية هي التي جعلها الله أساساً لكرامة الانسان ومعياراً للتقوى والتقوى معيار التفاضل بين الأفراد والأمم وأساس التمكين في الأرض وشمول النفع للناس جميعاً .

٣ – وفي الحج تتكرر المواقف الخالدة التي سبق ذكرها من منافع الحج كموقف مباهاة الله الملائكة بحجاج عرفة، وكموقف الميقات مع الله في عهد موسى عليه السلام، وموقف معراج خاتم المرسلين ﷺ وذكريات إبراهيم واسماعيل إلى ما هنالك من مشاهد تسمو بالانسان وكرامته وتنير له طريق حياته على هدى من الله ورعاية بقربه .

٤ – وفي الحج مفتاح السلام للعالم بما يحقق من اعلان الاعتدال الذي تقف فيه الأمة الاسلامية وسطاً بين أمم العالم تحاجز بين أهل الغلو يمنة أو يسرة بشخصية مستقلة تدعو إلى الحق والخير والهداية ولا تميل مع الأهواء ولا تمشي مشية النفاق باسم الحياد على وجهين بخطى متعثرة قلقة حائرة ...

« وكذلك جعلناكم أمة وسطا لتكونوا شهداء على الناس ويكون الرسول عليكم شهيداً » تبلغون كتاب الله وهديه كما بلغكم رسولكم وأنتم من بعده خلفاؤه وهولن يخرج من قبره الشريف ﷺ وقد حملكم الله التبعة بلفظ واحد بخطابكم بما خاطبه قائلاً في كتابه به : « إنه لذكر لك ولقومك وسوف تسألون » جميعاً كما يسأل رسولكم عن تبليغ رسالة القرآن .

٤ — ولهذا كانت تحية زائريه ﷺ في قبره الشريف بأن يخاطبوه قائلين :
( اللهم إنا نشهد انك رسول الله وأنك بلغت الرسالة وأديت الأمانة ونصحت الأمة وجاهدت في الله حق جهاده ) .

فأين نحن أمته بدعوتنا ودعايتنا لنكون بها شهداء لله على الناس في موسم هذا بيانه ولسان حاله ؟! .

٦ — إننا في عصر يقول أهله : نريد ( حياة أفضل ) مما نحن عليه قوامها التعاون بين الأمم وتبادل المنافع والخيرات والتعارف والتآلف والمودة ولكن أمم العصر المتقدمة اليوم ( مع تخلفنا ) ويتجهون إلى ضلالة من ضيعة الحياة لقصرهم النظر على المادة بعد أن كانوا على الرهبانية التي رفضوها وانغمسوا في حمأة المادة ونسوا المنهج الجامع الاقوم القائل مقالة الله : « ومن يرد ثواب الدنيا فعند الله ثواب الدنيا والآخرة » بما يجمع بين الجنسين مادياً ومعنوياً باعتدال .

٧ — ونحن المسلمين قد أراد الله تعالى فينا إرادته فلم يدعنا لمنهج أهل الرهبانية ( بعداً عن الحياة وطيباتها ) كما أنه لم يجعلنا من أهل النظرة المادية والأهواء الجامحة والمنافع الخادعة ، وقال لنا بلسان النبوة الحكيمة الهادية ( ليس خيركم من ترك دنياه لآخرته ولا آخرته لدنياه ولكن خيركم من أخذ من هذه وهذه ) .

٨ — وجعل لنا بذلك نحن المسلمين منزلة الرياسة والامامة في العالم لتقتدي بنا الأمم جميعاً قدوة الهداية بقرآن حكيم منزل لنخرج الانسانية من الظلمات وطاغوتها ومشاكلها إلى أنوار الله الهادية و « الله نور السموات والأرض » .

فأين الدعوة التي تغزو الناس بالدعوة الالهية ، ونحن بعكس ذلك نغزى منهم حتى في المدارس والجامعات والصحافة والمطبوعات غزوة تنفذ إلى القلوب والبيوت كما استولت على الحكم والذوق العام والتربية .

٩ — إن أذان الحج في كل عام اعلان لمبادىء الاسلام الانسانية الهادية

النيرة بهذه المظاهرة الدولية التي يتنادى لها المؤمنون من مختلف قارات الأرض باديها وحاضرها .

١٠ – وان أرض الحرمين والمناسك هي المعرض الدولي الاكبر الذي تنظم فيه المشاعر والعبادات التي تبرز هذه المبادىء الاسلامية وتمكنها نفسياً واجتماعياً وتعلنها دولياً بجو من العبادة الخاشعة ، فمتى تنظم دعوة الاسلام على مستوى هذا الواجب فتكون ( صوت الاسلام ) حقاً وتثمر ثمرها قولاً وعملا ؟!

١١ – وان تحقيق مبدإ التعارف بين الناس على اختلاف شعوبهم وأممهم وقبائلهم قد هيأه الله في زمان واحد ومكان واحد على قبلة واحدة ودعوة واحدة ، وذلك سبيل التعاون والتناصر بينهم وأداء الحق الإخاء الايمان بولائه ( والمسلم أخ المسلم لا يظلمه ولا يخذله ) والخطة بينهم قوامها أن : « تعاونوا على البر والتقوى ولا تعاونوا على الاثم والعدوان » .

وهذا بعض ما أعد له الحج أسباب ودعوة وأنصاراً ، حتى لا يبقى على دعاة التوجيه وأهل الدعوة والحكم والقيادة إلا أن يبدأوا الخطى المنتظمة بتنظيم الدعاية اسلامياً وقد جعل الله فيها الخير ، وان يوضحوا للعمل براجه ، ليشهدوا منافع لهم ويذكروا اسم الله الحق ، ويشكروه على ما هداهم وجمعهم له بهذا الحج، حتى إذا عاد الحجاج إلى بلادهم عادوا على منهج واضح الخطوات من التعاون والتناصر عاماً فعاما ، وجددت تذكرتهم مواصلة الدعاية .

١٢ – وإذا كان هذا شأننا من هداية الاسلام في موقف إيجابي مع العالم كله ، فإن مشاكلنا وأمراض أوضاعنا وفي طليعتها التربوية والسياسية بحاجة إلى قيادة فكرية مشتركة ، والى تنظيم مرجع للوساطة في حل أمهات المشاكل وفي طليعتها السياسية قبل أن تستفحل وذلك في ضوء ما هدانا الله اليه بقوله :

« وإن طائفتان من المؤمنين اقتتلوا فأصلحوا بينهما » ويكون من مهمة هذه الهيئة الاصلاحية أن تأخذ بالوقاية وأسبابها قبل أن تقع الأحداث بفتنها .

# ادارة الحج

هي التي تحمل من اسمها صلاحياتها وتبعاتها معاً حين تفهم من الحج مقاصده ومشاكله فتحمل الاعباء وتسد الحاجة على قدر ما تقتضيه المصلحة في حل مشاكل الحج العامة والموسمية

وإذا أردنا انصاف القول ، فان ادارة الحج لها وجوه متعددة الجوانب تشاطرها بعض ذلك وزارات كالخارجية والشؤون الاجتماعية والاسكان والتموين والتربية والتعليم والاعلام وما إلى ذلك وإذا أنصفناها القول فإنه ينبغي أن تكون هذه الادارة محل الرعاية لتكون أشرق وجه وأوضح صورة لبلاد عرفت بمبادئها ومجتمعها وقد ارتبطت ( في وجودها ومركزها حتى دولياً ) ارتبطت بالاسلام بوحيه وتاريخه ومبادئه ، وهذا الحج أعم وأجل.

إن تبعات ادارة الحج على مقدار فهم جلال الاسلام بحجه وتبعاته .

وان رتباط ادارة الحج بوفود الحجيج من أبناء الارض جميعاً لا يقتصر على حلهم وترحالهم في مواطن نسكهم في أيام معلومات محدودات ، وانما يتسع اتساع أفق النظر في سمو المقاصد التي جعل الله لها الحج ركناً في دينه .

ولهذا ينبغي أن تكون ادارة لحج على أتم الصلة بالحجاج وأمورهم لتتمكن من تحقيق الخطة التنظيمية .

ولهذا يجب أن تبدأ عنايتها بالحجاج من منطلقهم وهم في بلادهم وذلك بواسطة سفارات المملكة وقنصلياتها والملحقين الثقافيين فيها يضاف إلى ذلك من يوجه من الموفدين الموسميين عند الاقتضاء لتنظيم إقبال الحجيج على أساس البرنامج الثقافي الذي يعد لتنظيم هذه الرحلة

أ – ويجب أن يتم ذلك بالتعاون مع العلماء والدعاة الى الحج في كل بلد.

١ – وبهذه البداية من النظر الاداري نستطيع أن ننظم الوضع في الحجاز أيام الموسم وأن نعد لهذا التنظيم أسبابه وأهله الاكفياء لتحقيق مقاصد الحج ومنافعه وفي طليعتها أن يكون ثمة في كل موسم مؤتمر سنوي للعالم الاسلامي (وذلك على شاكلة تنظيم المؤسسات والمعارض الدولية الدائمة).

أ – وهذا ما يستلزم أن تعد الحكومة السعودية في كل قنصلية (استمارة) تستبين بمعلوماتها المعرفة شخصية كل من سيقدم على الحج وطلب السمة من قنصلياتها، فتتعرف بذلك على كل شخص ومقامه ومؤهلاته وأعماله وكفاءته وذلك لتختار منهم ادارة الحج من تدعوهم بحسب كفاءاتهم لجان يساهمون فيها بدراسة ماينا ط بهم وتقديم التوصيات ورسم المناهج لعام فعام بما ينهض بالامة ويحقق من الحج شهود منافعه في عصر درج العالم فيه على تنظيم المؤتمرات وإقامة المؤسسات الدولية لمثل هذا التعارف والتعاون وتنظيم المناهج.

ب – إن الكفاءات التي تلتقي في الحج سنوياً لتضم أنواعاً منوعة لا يتوفر مثلها في أي مؤتمر وتجدها من عبادتها في أصفى ساعاتها على ما فرغت له الوقت والنفس من الاقبال على الله، فتقدم – إذا دعيت لتنظيم – ماتقدم من خبرتها بمقترحات وتوصيات، وهذا في لغة الشريعة الاسلامية هو (النصيحة) المفروضة لله ولرسوله والمؤمنين امانة في كل عنق وخاصة لما تدعو اليه الدواعي في سبيل نهضتهم وعزتهم وتحقيق رابطة الإخاء بينهم، وفيه ذلك الاستجابة لأمره تعالى « ولتكن منكم امة يدعون الى الخير »

# الحج والاستطاعة

إن الحج (بحكم كونه فريضة عينية على كل انسان) فانها ترتبط بقدرته واستطاعته هو ولا حد يحد هذه الاستطاعة وهي مرتبطة بقوام النفسية وعزيمته ودرجة ايمانه ومقدار تحمله ومااالى ذلك من أمور دقيقة وقد تخفى على الانسان نفسه نظراً لتبدلها بين طور وآخر من حياته بل من ساعة الى أخرى من أيامه .

١ — ولمثل هذا نرى في الحجاج وعند الطواف حتى الشيخ والاعمى والمريض والفقير ممن يعتبرون أنفسهم أهل الاستطاعة.

ونرى من ينقطع لهذه العبادة أو يعاودها سنة فسنة بل ويكرر بين ذلك العمرة، ولا يقال لمثل هؤلاء أو أحدهم ان قد أخذت فرصة العمر وهي لغيرك ، ذلك لأن أمر الناس في ذلك مختلف ، فمنهم من لا يسعى الى الحج رغم استطاعته بل منهم من لا يفكر بالحج حتى يفوته العمر فيوصي به ليقام به نيابة عنه بعد وفاته . . .

٢ — وان الاستطاعة قوامها ( من التكاليف الشرعية ) التحمل والكلفة ، وقد يكون من ذلك في التكاليف بذل الأرواح والاموال وتحمل الصعاب وشدة الصبر في مثل فريضة الجهاد. ومثل مايكابده الحاج وهو أشعث أغبر وخاصة حين يأتي من كل فج عميق يأتي على حال تناسب مايقدر من حاله وتحمله واستطاعته ،

ولهذا يقتضي تذليل الصعاب والعون على البر وأداء الفريضة ولا يجوز أن نعكس فيه الآية فتوضع للحج شروط غير شرعية تفرضها سلطة فتكون هي العقبة دون

حجة الراغب بديل أن تكون سلطة الحكومة وقدرتها عونا على البر وتذليل الصعوبات لكل راغب استشعر من نفسه الاستطاعة وهوى الى بيت الله قلبه .

ولا يؤخذ من صعوبات الواقع القياس لهذه الصعوبات بمشقتها وحرجها وتجعل الاساس لوجوب الحج وفرضيته وخاصة من قبل أرباب السلطان لأن التكليف أيضا في تذليل الصعاب وحد الواجب من تذليلها على قدر الاستطاعة والقدرة لأرباب السلطان كما هي بمعيارها شخصية . فالقياس على الواقع والرضاء بالواقع وعدم بذل الجهد، فذلك شأنه شأن من يقول: أنا مسلم أو دخلت بالاسلام معجبا، وهو لا يترجم بفعله عن مقاله ويريد بالوقت نفسه أن يبقى في مكانه ولا يريد أن يغير إسلامه شيئاً من واقعه في حياته رضاء منه بما ألف من راحته المعتاد عليها ثم يقول هذا حالي وهذه أشغالي وأعبائي ومع هذا فانا عند نفسي مسلم وان كنت على هذا الحال

ومثل ذلك من يقول أنا أتمنى الحج وأريده ولكنني لم استطع ، ان هذا الاسلوب ونحوه من الامنيات الكواذب وهي من ألوان خداع الضمير وهو من مدارج النفاق ؛ فمن التزم امراً بذل جهده ، ومن كانت له قدرة وساطة بذل على مقدارهما من ذلك ما بذل من عرف حق الله عليه ومعنى هذه الفريضة من اركان الشريعة واثرها البالغ في حياة الافراد والمجتمع والناس جميعا ، وعليه ان ينظر الى مدى قدرته لا الى مقدار ما بذله فهي معيار التبعة عند الله !

٣ ـ وقد جاءت باسم ( تعليمات ) من السلطات لتنظيم الحج لعله كان من ورائها من يخفي في طويته روحا ملحدة او كافرة او معادية او علمانية او غير مبالية بالعبادة والاسلام واركانه فإنها بهذه ( التعليمات ) فرضت تكاليف ووضعت عقبات دون الحج بديل ان تذلل العقبات وضعتها باسم التنظيم عقبات فرضتها بديل ان تكون عونا بقدرتها وسلطانها تذلل الصعوبات .

ا ـ وكان من اغر بها بمنطقها المعكوس وبعدها عن روح الواقع وطبيعة

العصر حين تقاس الأمور بقدرات السلطة وتبعات العبودية لله سبحانه وثمرة الحج لمن عرف منافعه وأراد اغتنامها تلك التعليمات والترتيبات التي أعلنت وأريد فرضها على ( موسم ١٣٩٥ هـ الموافق ١٩٧٥ م ) قد جرى طي ما طوي منها بالتساهل فيها والتراجع العملي ممن تنبه لمفاسدها كما شعر بالعجز عن تحمل تبعاتها رغم ارهاقها الناس بما زاد التكاليف ، وزاد الصعوبات صعوبات والتضييق تضييقاً واعنـــاتا .

( لقد نصت هذه التعليمات على أن ( الحج ) شروط له ( الاستطاعة ) ثم تيسر على الناس الأسباب لهذه الاستطاعة فإنها وضعت بسلطة الحكم شروطاً للحج وقيوداً على الحاج ، كأنه فريضة وعبادة لأهل الثراء واليسار والترف ، وليس عبادة شخصية لغنى وفقير يرى من الاستطاعة لنفسه قدرتها وسعتها هي كما قال تعالى : « لينفق ذو سعة من سعته ومن قدر عليه رزقه فلينفق مما آتاه الله » ، فقد اعتبرت السلطة موسم الحج ( سوقا ) ( سوقا تسلب فيها الحرية وتوضع القيود لاحتكارات الطعام والانتقال ) سوقاً لسوء الاستغلال فزادت الاكلاف ورفعت ( الاسعار ) بها . ان ( الغلاء ) وما كان من أثر ( العرض والطلب ) باستغلاله السيء قد زاد الأمر سوءاً على سوء حين أصبحت بذلك ( تعرفته ) الحكومية هذه هي السعر الادنى في السوق الحرة لأهل المطامع ، وازدادوا شططا بها ، وغابت عن العقول والقلوب مباديء ( الحسبة ) في الاسلام وما تعالج به مثل هذه الاوضاع الفاسدة ، وقد زدناها بما سلف افساداً على الفساد السابق

ب ــ وكان في هذا أسوأ الوضعين ماليا المذهبين الاقتصاديين المتصارعين في العالم المسميين ( رأسمالية ) ( وشيوعية ) . . . وتجاهلنا في ذلك اصل الخلق العربي الاسلامي في إكرام ضيوف الله والتعاون على البر والتقوى ، واخاء المسلمين اهل الديار ومن اقبل عليهم لحجه ، أن دور الحكومة دوره الرقيب والعون بسلطان الحكم وتنظيمه لما تحمله من التبعات وتكاليف الحكم في الاسلام وقدرة

التكليف الشرعي على نسبة مطردة مع هذه القدرة من كل قدرة ...

ج - وكان من دواعي الخطأ بما كف تذوق ثمرة المغانم لافراد شركة النقل والموصلات على ما الذي سارت عليه المملكة من الحرب العالمية الثانية باحتكار المواصلات باسم تذليل صعوبات المواصلات وخدمة الحجيج وجاءت بهذه التعليمات لعام ١٣٩٥ الملمع اليها الخطوة الاخرى لتحتكر بقوة السلطان ايضا ( الطعام والمسكن والانتقال )رغم ان الاجور والاسعار في اشد ما وصلت اليه قبل هذه ( التعليمات ) لم تبلغ مبلغها من بعد التعليمات بحكم التأسي بها وجعلها حداً ادنى عند الناس . واستتبع التنظيم على هذا النحو تحكم السلطة بمنعها الحاج من حقه باختيار مطوفه وبالتالي من اختيار مسكنه ومنعه من الطعام الذي يريد إلزاما بالذي تفرضه السلطة على ، الحاج كأن الصبغة التي تفرض عليه صبغة جندي في ( ثكنة ) ، وان اراد النجاة من قوالبها فله ولكن على حساب نفقة جديدة .

ومن المعلوم ان الناس في حاجاتهم كما كلهم لا يستوون لاختلاف الذوق والسن والصحة والقدرة المالية وما ( إلى ذلك ) فأين تقدير هذا في وضع كالذي جاءت به هذه ( التعليمات ) بتنظيماتها المعكوسة ؟!.

د - وكان حريا بنا ان نرى العبرة لذلك من واقع المعسكرات ونرى خاصة ما يتلف من المأكل والخبز على ابواب المعسكرات الى جانب ما يحمل الجند فضلا عن القادة على شراء ما يأكلونه من جيوبهم وطعام اهليهم ، ولا يرتضون ما يقدم لهم حتى يكون من مثل ذلك منه ما يتلف .

هـ - وان تحمل السلطة بادارتها ومطوفيها هذه الأعباء الاحتكارية إنما يكون من بعدها ما يكون عادة من العجز والاهمال وسوء الاستغلال وفتح الرشاوى لقوم تذال لهم الصعوبات ولآخرين تبخس حقوقهم تعللا بحد الامكان وضغط الموسم والضرورات التي تبيح المحظورات ونحو هذه التعللات بتبريرها الكاذب المعروف في أمثال هذه الاوضاع في أنحاء العالم كله ...

٤ – إن معنى ( التنظيم ) أن تعرف ( الواقع ) بعلله و ( الحاجات ) بطبيعتها ثم تنظم ( القدرات ) لها وتدعمها السلطة بعونها .

أ – إن لكل عصر روحاً وحاجات وقدرات ، وإن كل ( نظام ) لايراعي هذه النقاط محكوم عليه بالفشل ويحمل الشكوى في طياته بادىء أمره وتأخذ الشكوك بالضغط والازدياد حتى يقع الانفجار الذي يحطم هذا النظام إن لم يجد من يتلافى الأمر بالاصلاح الجدي والدواء الناجع .

ب – وان كل ( خطة سلبية ) حيال دواعي العصر وتزايد حاجاته ، وكل ( ترقيع) في ( نظام موروث ) كان من قبل هذه الظروف والحاجات ترقيعاً باسم ( الاصلاح ) إنما يزيد المفاسد لهذا النظام كمن يرقع ثوب طفل لشاب بلغ نضجه وأشده وذلك على نحو ما حدث فيما سمي من تنظيمات واصلاحات لموسم العام ١٣٩٥ فإنه مــــد الحماة بماء رغم أنه لم ينفذ بمداه ومفعوله وكان من ساعته الأولى سيء الأثر بما فرض من عقبات جديدة على الحج والحجاج .

لهذا فإن لابد من وضع ( الحاجات ) في كفة ( والقدرات ) في كفة اخرى ثم يكون على أساس ذلك وضع ( النظام ) لخدمة الناس في نظام يستهدف مقاصد تذليل الصعوبات وتوفير قدرات وخدمات على مستوى مانيا وينمو من الحاجات بحكم طبيعة العصر وحاجاته ، ان ميزة النظام الصالح انه يشعر من يطبق عليه أنه جاءه بفائدة لم تكن من قبل هذا النظام وأنها لا تكون بدونه .

ج – وان من دواعي الضلالة في هذه التنظيمات المشار اليها أنها قصرت نظرها على ما ألفت من مورد وما تزيد به هذا المورد وما تستطيع أن تستأثر به باسم التنظيم ، ولهذا جعلت هذا التنظيم زيادة في الأعباء لا في تسهيل الحج وتوفير الخدمات ، وأصبحت بذلك السلطة وسيلة ( تذكر ) بزيادة العقبات بديل أن أن توفر من سلطانها ما يذلل الصعوبات ، وقد ستر ذلك كله ببرقع مهلهل مفضوح باسم (تحديد شروط الاستطاعة)التي ارتبطت بها فريضة الحج على العباد!

د ـ إن الحج هو الهدف ، وان كل تنظيم يعطل من أسبابه ما يعطل ويحتكر أو يقف مع عجزه الكسول رضاء بما كان عليه الحال ، فإنه تنظيم فاشل لا تتقبله قلوب مؤمنة تهوي إلى ديار حجها لتؤدي فيها مناسكها .. ولكل عصر ميزان وذوق وحاجات وحكم وينبغي أن يكون ذلك كله نصب عيني من يضع النظام . . .

هـ ـ إن الحكم بسلطانه قدرة ينبغي أن توضع في خدمة الحجيج لتذليل وتيسير أموره وليست لفرض فرائض ووضع مزيد من العقبات يشعر معها الحاج أنه كان أقدر وأيسر له ما كان بدون هذه التنظيمات .

و ـ وإن الأزمة قد برزت بروز المشكلة ، لأن الحج يتصل بزمان ومكان محدودين ، وهذا التحديد قد جعل الازدحام يبلغ أشده بالنسبة للأوضاع المألوفة والاصلاحات التي لم تبلغ حد الحاجة .

١ ـ وان هذا الاقبال بلا شك سيأخذ بالازدياد والاشتداد لتوفر الدواعى اليه وفي مقدمتها سهولة المواصلات في عصر الرحلات والسرعة .

وهذا مما يجعل الازدياد الى مد لا يقف عند حد ، وعلى هذا ينبغي أن يكون الحل بالنظر للمشكلة وإيجاد الحلول ووضع النظام لها على أساس من معرفة هذه الحقيقة والواقع من الأمر ، ولا يقوم الحل على تجاهل ذلك ولا على وضع المعوقات المصطنعة .

٢ ـ وكانت الخطة ( لحل هذه المشكلة ) عندما بدأ الاحساس فيها بعد الحرب العالمية الثانية ( على التقدير الملحوظ يومئذ ) قد قامت على ( التوسعة التامة ) للمسجدين الشريفين في مكة المكرمة والمدينة المنورة .

٣ ـ وكان ( تنظيم السير ) بالشكل الذي مايزال متبعا بالاتجاه الموحد حيثما فرض من شوارع البلدين المقدسين .

٤ ـ هذا إضافة إلى أمور أخرى مساعدة كتضييق مكان حفظ (مقام ابراهيم)

حتى أصبح بشكل لا يعرقل ماتم من (توسعة دائرة المطاف) والطواف من وراء المقام.

٥ - ثم كانت مفاجأة الزحام من بعد ذلك بازدياد الحجيج في موسم (عام ١٣٩٤ هـ ١٩٧٤ م)، وقد أسفرت عن وجهها وأعطت حكمها بالنسبة للخطة السابقة بأنها لا تسد الحاجة ولا تحقق الأمنية.

أ - وهذا ماحمل جلالة الملك فيصل آل السعود (في عامه الأخير رحمه الله) أن يتوجه بندائه وخاصة لأبناء مملكته قائلا: «أرجو ولا أمنع أن لا يقبل على هذا الموسم من سبق له أن أدى فريضته، وذلك ليتسع المجال لاخواننا الآخرين الذين يقبلون على أداء الفريضة من كل فج عميق».

وبهذا ضرب الأسوة بنفسه وحاشيته فلم يحج آنذاك ولم يحج من تابعه.

ب - وتحدث المتحدثون عن الخطة التي يجب اتباعها في حل هذه المشكلة وتعددت الآراء كل بما يمثل دوافعه وغايته بوجهة نظره.

٦ - وليس هنا مجال النقد لرأي سابي بدا لمن يقف مبهوراً وقفة العاجز أمام هذه المشكلة بشكلها المفاجيء له، فضلا عن التصدي لمن يلتقي معه بالخطة السلبية ولكن تحقيقاً لأمنية ملحدة يود لها أن لو منع الحج كلياً وهو يريد أن يصد عن بيت الله عباده المؤمنين، مـا وجد مثل هذا الملحد إلى ذلك حيلة أو تعلة ليبرر بها هوى نفسه وإلحاده.

وإنما نقف من هذين الاتجاهين موقف من يكشف عن خطة تسمى (خطة إصلاح وتنظيم) وهي تقوم حيناً على (الترقيع) وأخرى على (زيادة المساويء وتوليد المشاكل الجديدة) من حيث يشعر أصحابها أو لا يشعرون...

أ - إن النظم والأوضاع التي تصاحبها المشاكل التي تضيق منها الصدور وتضج منها الألسنة كثيراً ماتكون صالحة في منشئها وبحسب أوضاع زمانها ثم تبدلت الأوضاع بحكم الزمن وما يجيء به من حاجات وقدرات فلم تعد على ذلك صالحة ولا يحل منها المشكلة تعديل ولا ترقيع.

## نظام المطوفين :

١ - وإن من ذلك ( نظام المطوفـــين ) ، فقد كان في نشأته ( على الفطرة العربية والسجايا الاسلامية ) قائمـــاً على مبدإ ( الضيافة ) والترحيب ( بضيوف الرحمن ) إضافة إلى ( تعليم ) ابن مكة مناسك الحج لمن جاءه قادماً ولا علم له بالمناسك وأحكامها . . .

ويرجع الأساس في ذلك من مبدإ ( الضيافة ) العربية على سنة ابراهيم الخليل عليه السلام ، وعلى أن طلب العلم فريضة ونشره فريضة ، وأن خدمة الحجيج بذاته مكرومة تأنس بها النفوس العربية منذ الجاهلية حتى قام لها على الرعاية والحماية ( حلف الفضول ) من قبل البعثة المحمدية وعززه الرسول ﷺ بقوله : ( ولو دعيت اليه في الاسلام لأجبت ) !

وأصبح مع تماد الزمن عمل المطوفين ( نظاماً ) لمهنة واختصاص ثم أصبح من بعد الموت أيضاً ( ميراثاً ) وربطت السلطة به « نظام أمنها » لمعرفة القادمين والعائدين ورقابة ذلك . . . وفرضت المطوف (رسوماً) لقاء الخدمات التي يقدمها للحجاج .

وتنوعت المعاملات وحدود الأجور والاكراميات بأساليب عدة تظل رغم ذلك أساسها التراضي ، دائراً بين التسامح والاكرام حيناً من جانب المطوف وأخرى من جانب الحاج . . .

وكان الاقبال على المطوف نتيجة دعايته هو وذويه والراضين عنه من نزلائه في غالب الأحيان ، ثم امتدت أيدي السمسرة والوساطة والمشاركة بالمغنم من الحاج واقتطاع « العمولة » على المطوف .

وكان المطوف على ذلك لا يدري ما يكون عليه حاله في كل موسم من إقبال حتى يضيق ( صدراً ومنزلاً ) بعديد حجاجه أو ما يكون عليه من إدبار حتى لا يجد المطوف ما يسد نفقة ما أعده لموسمه . . .

وكان انعكاس أثر ذلك على الحاج مختلفا فتارة تزيد به العناية وتارة يلقى من الصدود والاهمال بل والعجرفة والمطمع ما يؤذي الحاج في نفسه بل في كرامته إضافة إلى ماله ...

وإذا كان هذا النظام للمطوفين موروثا عن أيام إقبال الحجيج بين ماشٍ وراكب ناقة أو باخرة ثم تعاقبت الايام وامتد هذا النظام إلى عصر السيارات والطيارات ثم كانت تلك مشكلته من اضطراب قدرة المطوف وازدياد حاجة الحجاج بازدياد إقبالهم ، فان هذا النظام لم يعد صالحا لهذا الزمن بوفوده الوافدة بسيولها مع السيارات والطيارات وما إلى ذلك ...

ولهذا كان اعتماد نظام المطوفين أساسا لا يأتلف مع طبيعة العصر واتساع نظم الحكومة وأمنها ، ولا مع عصر السياحة وحريتها والدعاية لها ... ولا مع أساليب الأمم في معاملتهم لاقبال الأغراب عليها باطراد أوفي مواسممعينه .

ولهذا وجبت رعاية نظام العصر على نحو أساليب الأمم التي لم تعرف نظام المطوفين واحتكاره كما أسلفنا في ( ص ٢١ وما اليها ) .

ان معاملة الحاج لها أثرها في الدعوة إلى الحج وشريعته وللحكومة وبلادها تبعا لحسن السمعة أو سوئها، وقديما قيل :( ألسنة الخلق أقلام الحق ) . وما شهد به المسلمون كان شهادة لله ، وإنموازين العصر ونفوس الناس قد أصبحت لاتحتمل ما كانت تحتمله بالأمس في عصر الأسفار الشاقة براً وبحرا .

٢ – وإن عصرنا عصر الفنادق والمطاعم والبيوت المفروشة وأندية الشباب يقبل عليها من يقبل ويتركها من يتركها ولو بعد يوم مادام لا يرى فيها راحته ، ففيم « احتكار » مطوف للزبون في موسم أحسن اليه أو أساء معاملته ؟! ولم لا تهيأ الأسباب البديلة ترعى المتوسط ومن دونه بمثل رعاية الأندية للشباب باسم الجمعيات والأندية وبيوت الكشافة والشباب والطلاب والمخيمات ونحو ذلك!

وإننا لنرى في البلاد السياحية إلى جانب الفنادق أنها أحيانا تفتح بيوت

الآن كلياً أو جزئياً فتكون أبوابها مفتحة برسوم محددة للمستأجرين بيتاً أومقاماً أو نزلا ( بانسيون ) وتكون مع الطعام أو بدونه كما تكون إلى جانبها بيوت تتقبل الضيافـــة في أيام الموسم وزحمته حتى بالمجان أو ما يشبه ذلك من تخفيض الرسوم والأسعار تقديراً لحاجة العصر وتشجيعاً للاقبال .

وبذلك توفرت المعاملة الكريمة والرعاية والخدمة المرضية للافراد والجماعات وخاصة منها التي تقوم بالرحلات الجماعية كالمدارس والكشافة والاندية الرياضة والثقافية والجمعيات .

٣ - إن في سبق العالم المعاصر لتنظيم ذلك ونحوه غناء عن أسلوب المطوفين الذي انطوى عهده ولا يصلح بقاؤه وقد زالت دواعيه وظهر فساده وهو فساد في اطراد وازدياد مع تطاول عهده بالابقاء عليه .

آ — وان التبديل لنظام المطوفين لا يعني انقطاع موارد عيش كانت لهم قائمة على موسم الحج ذلك لأن الموسم مازال قائماً والحجيج مازال مقبلا ، وإنما يختلف أسلوب النظام بما يناسب العصر بطبيعته وحاجاته ، ولا معنى للابقاء على سلطة مطوف على الحاج لا باسم الامن والسفر ولا لغيره وليس في الابقاء على ذلك إلا معنى الاحتكار والابقاء على من وقع ضحية في شرك من سجل اسمه عليه من يوم مقدمه أو فرض عليه اللحاق به فرضاً ( كما حدث منذ موسم عـام المنصرم ١٣٩٥ هـ ١٩٧٥ م) حتى لا يبالي المطوف بالحاج ولا بشيء من حقوقه ورعايتها ، وكثيراً ما نرى أنه لا يرى المطوف الحاج ولا يعرفه بغير اسمه المسجل عليه عند استيفاء ( الرسم ) عنه ...

ب — وان دور السلطة بعد ذلك يقوم بواجبه على ( الرقابة ) كما ترى ذلك في البلاد التي تعنى بالسياحـــة والمصائف والمشاتي وتهتم بالموسم وحسن السمعة واعتدال الاسعار ومنع الاحتكار .

ـ ان الحج بوسمه المتاد المتجدد عاما فعاما بحاجة إلى رعاية تناسبه وان من ابرز وسائلها العناية تحت إشراف السلطة بإعداد ما ينبغي من (مخيمات) اضافة الى ما تجعل تحت تصرفها من بنايات وعلى ذلك تحدد بحق الرسوم والاجور والاسعار بصورة معتدلة ترعى حال الحجاج وبلادهم التي يقبلون منها وتقام لصالح الحرمين وأوقافهما وخاصة ما يمكن اشادته من المباني بعدترك الطابق الارضي ملحقا بالحرم حيثما وسع الحرم في المدينة من وراء جدرانه القائمة كل على سواء من ثراء النفط والازدهار وقوة الدخل وقيمة العملة فلا بد من رعاية الحال المختلفة من ذلك لتكون الرسوم والاجور والاسعار بحق معتدلا ، وبمثل هذا التنظيم القويم يتم التوفيق بين الحاجات والقدرات وبين الحجاج ومن يتعامل معهم دون احتكار لزحمة الموسم وسوء استغلاله وتكون بذلك السلطة عاملة بحق لصالح الفريقين بهذا النظام بديل التمشي باسم التنظيم مع مفاسد الماضي باسم الاصلاح وترقيع ما وجدنا عليه الآباء من نظام المطوفين . . . رغم تزايـــد اسوائه وطغيان فساده وضجيج الارض والسماء من سوء أوضاعه .

٥ ـ وان من العوامل في الازدحام غلاء الاسعار ما يرجع بغالبه الى نظرة خاطئة بما فيها من غيار المواصلات الداخلية خاصة :

آ ـ وقد كانت منذ الحروب العالمية الثانية تجربة حصر النقل للحجاج بالشركة العربية السعودية فقد بدأت لحاجة ضغط الموسم مع قلة الوسائل ثم انقلبت سلطة محتكرة رغم زوال الدواعي وانتهاء الحرب ووفرة السيارات وقد أدى الاحتكار في هذه الناحية الى تعطيل الحجاج وتأخيرهم ومنع حركتهم حتى تنقلهم هذه الشركة حسب قدرتها المتخلفة عن حاجة الموسم وخاصة مع ازدياد الاقبال عليه ، وان هذه الشركة لا تفك الحاج من أسرها الا اذا دفع لها الرسم المعلوم كأنها أركبته ونقلته فيدفع ما يدفع شاكراً أو صاغراً لينجو بنفسه من أسرها ويغنم وقتة في هذه الزحمة وفي زمن من سمته السرعة التي ارتبطت مصالح الناس بها .

وليس من دواعي الابقاء على هذا النظام غير استمرار هذا المورد بهذا الأسلوب الظالم والمعطل لمصالح الناس ، والمستعبد لحرية الناس .

ب - وإن أمر الطائرات على مثل ذلك حين تمر الطائرات من مثل ديار الشام بأرض المدينة المنورة ولا يسمح لها بانزال ركابها إلا أن تكون الطائرة للخطوط السعودية وبذلك يفرض على الركاب بغير الطائرات السعودية أن ينزلوا في جدة وأن يذهبوا منها إلى ( المدينة المنورة ) ثم يعودوا فيعطلوا وقتاً للذهاب والاياب ويغرموا نفقة لا داعي لها ويزيدوا الموسم زحمة لا داعي لها أيضاً .

٦ - إن استئثار البلاد التي تخص مواصلاتها الداخلية بالنقل فيها لا يشبه حالها حال الحج وبلاده بزحمتـــه وموسمه وخاصـة مـع مزيد من الاقبال والتفكير بالتخلص من ضغطه وما يصاحبه من عجز عن النهوض بالاعباء مع الراحة للناس.

آ - بل إن موسماً هذا وضعه يحتاج إلى فتح الأبواب لكل من يساهم بحمل العبء فيه كضرورة وإنجاد ، تسهيلا على العباد ، ولا يبرر هذا التعطيل للناس ومايصاحبه من إهمال وسوء استغلال لمجرد هذا الاحتكار المواصلات الداخلية تقليداً لبلاد تخص نفسها وأهلها بمواصلاتها الداخلية ، وليس من حـــال مواصلاتها الداخلية حال تشبه الحجيج بزحمته ووفرته وحاجاته .

٧ - وإن من طبيعة العصر إقبال السيارات براً ، وبديل أن ينظر إلى ذلك بحكم العصر وطبيعته وانها ثمرة من منافعه وحاجاته ، فإنما وقفت إدارة الحج منها موقفها السلبي والمحتكر في آن معاً ، ولكن باسم منع الزحام بالسيارات فمنعت حركة هذه السيارات الوافدة وذلك بايقافها في ( محطات ) ، بديل أن يقال : كيف ينظم أهل الدنيا المواصلات مع إقبال مثل هذه السيارات الوافدة.

أ - وقلبوا بذلك ما تيسره السيارات لأصحابها من سهولة الحركة قلبوه الى نتيجة عكسية من تضييق الحركة عليهم حين تحجز سياراتهم بالمحطات وتمنع من

المشاركة بتخفيف الضغط من جراء نقص المواصلات الداخلية عند الموسم و كأنهم أرادوا بذلك فرض بقاء الوضع الداخلي للحركة على مستوى الحاضر بضروراته وأزمته. هذا مع أن اطراد زيادة السيارات مع اطراد ازدياد الحجيج هو السبيل الحقيقية الطبيعية لمعالجة مشكلة الزحام. وإنما يبقى أسلوب تنظيم السير وما يتصل به لئلا تنقلب وسائل النقل والحركة وسائل تعطيل لها وهذا ما سنلم بطرائق لمعالجته ...

ج - وإننا لو رجعنا مع الزمن إلى سنوات (قبل هذا الازدياد الشديد الأخير) وقلنا لقائد عسكري دونك هذا العديد ( بمختلف لغاته وتربيته ومستوياته ) مع سلطانه العسكري وعديد جنده وأعوانه فإننا نجـــد أنه لا يتمكن من نقلهم بأيام ... وبينما نشاهد ما شهـــده التاريخ بانتقالهم في ( ليلة ) أو بعضها .

وذلك بفضل ( مرونة الحركة ) دون عرقلتها باسم ( التنظيم ) وقيادته، ذلك أننا نرى أن وضع الحج ( بروحه الخاصة وبواعثه النفسية ومشاعر الايمان المسيطرة ) يحقق معجزة ، فمن أراد زيادة التيسير بتخطيطه ليقابل بذلك زيادة الازدحام فما عليه إلا أن ينقل من الواقـــع ودراسـة مشاهداته ما يستنير به في رسم الخطة التنظيمية وذلك على أساس زيادة القـدرة في الحريـــة لا وضـع العقبات باسم التنظيم ...

د - ولهذا يجب تيسير حركة السيارات القادمة لا تعطيلها وان توقيفها وتعطيلها في الموسم يشبه بمنطقه السلبي مقالة من يقول امنعوا الجريـة وتخلصوا من حياة صاحبها مادام مع حياته وحركته مشكلة كالجريمة والشر والفساد في الأرض .

هـ - وإن حياة الانسان بحاجاته وقدراته تحتاج إلى موازنة وتوفيق لا إلى سلبية وإبادة وتعطيل ، فهذه سنه الله في هذه الخليقة منذ خاطبهم قائلا: « ونبلوكم بالشر والخير فتنة» فمدار حكمة أصحاب الطريق الأقوم هي هذا التوفيق بما يتميز

به عصر السرعة لا بتعطيل خصائص السرعة وأدوات إسراعها بتوقيف السيارات بمحطات ، واستغلال الموسم بحكم السلطة وفرض الاحتكارات للمواصلات الداخلية ، وزيادة الزحمة بتعطيل الحركة وسياراتها ...

و - وحسبنا من برهان مفاسد الوضع الراهن الشاذ أن كان من المفارقات أن راكب الطائرة يضيع من الأيام لمقدمه وعودته أضعاف ما يحتاج اليه بواقع أمره لولا هذا الأسلوب من الحصر والاحتكار ... وكان ذلك في هذا الجو الضاغط من زحمة الحج وتزايده ...



# مقترحات جديدة

وان المعرفة بما سلف من هذه المشكلة وما مرت به من نظرات من اهتم بها وعمل لها واختلاف المناهج التي قامت عليها انما يدعونا لبيان ما كشف الله لنا وهدانا اليه من رأي ونصيحة تصل بين الواقع وحاجاته والقدرة وامكاناتها وترسم الخطة التي تحكم الصلة بين ذلك بالتنظيم الجديد المنشود بعون الله وتأييده ،فأقدم ذلك وان لم أكن سائقاً يوماً ولا صاحب سيارة وانما أنا امرؤ يبصر ( الحاجات) ويرى كيف تعطيل ( القدرات ) وكيف ينبغي أن تستخدم فيقدم « التنظيم الجديد » ما هداه اليه ولله المنة ، ومن وجد خيراً فليحمد الله .

# مكة والمدينة
# ومشكلة الزحام والسير فيهما

١ – إن للبلدين المقدسين وضعاً دولياً فريداً لتواصل مواسمهما بين حج وعمرة وزيارة ، فلا يقاس الوضــــع فيهما عمرانياً وتنظيميا وبالتالي لا يقاس أمر السير وتنظيمه فيهما بغيرهما من بلاد العالم ليؤخذ بنظامه تقليداً . . .

١ – وان الحركة فيهما تتصل مواصلاتها الداخلية بحركة مستمرة من مواصلاتها الخارجية ، وإن هم القادم الوصول إلى مستقره فيهما وأن يرتحل منه .

٢ – وإن ما يلحظ من هذا الوضع أن الوفود المتقاطرة همها أيضاً من مكة ( كعبتها ) المشـرفة والطواف بهـا ، ومن الحرم النبوي ( روضته الشريفـة ) والسلام على صاحبها الرسول الأكرم وصاحبيه عليه وعليهما أفضل الصلاة والتسليم .

٣ – وان كل من حل بهذين البلدين همــــه الاقتراب من هاتين القطعتين ولهذا وجب :

أولاً الشوارع : تجعل الشوارع ومنازلها على قرب من المكانين المقصودين وأن تكون على بعد متقارب بالنسبة لمختلف أنحاء البلد ومنازلها التي ينزل الحجاج والزائرون فيها :

أ ـ وسبيل ذلك أن يعتبر الحرمان كنقطة الدائرة وأن تنظم من حولها البلدة في مكـة والمدينـة وذلك بشارع يحيط بالحرم ثم تترك مساحـة ( قطـاع ) للمباني تقام في هذا القطاع ثم يكون من ورائه شارع دائروي آخر كأنما مركزه الحرم نفسه ثم تترك مساحة ثانية بقطاع آخر للبناء وتأتي دائرة ثالثة بالشارع الآخر وهكذا دواليك مهما امتد العمران وتزايد السكان .

ويجعل محل البناء بين حلقتي الشارعين بمثابة قطاعات من الدائرة تفصل بينها منافذ بين الشارعين الدائرويين .

ب ـ وأما حيث تضيق رقعة الأرض عن الالتفاف بالشارع دائروياً لمثل قيام التلال في مكة فان الخط يترك تنفيذه عند هذه التلال إن لم تكن توفرت الأسباب لتوقلها والارتقاء بالطريق اليها وعليها ، ولا تلبث الأيام المقبلة أن تمهد لذلك الأسباب بحكم ما صارت اليه وسائل العمران والهندسة وفنون الطرق التي ذللت بها جبال العالم العليا وقممها الشاخة فكيف بتلال كشعاب مكة متطامنة محدودة تسيل مع أوديتها الطرقات بسهولة .

جـ ـ وان الشوارع الدائروية تقطع بشوارع عمودية على الحرمين وأخرى موازية للحرمين وتجعل هناك عند نقاط التقائها بالشوارع الدائروية دوائر لحركات الالتفاف من جهة إلى عكسها ومن شارع إلى آخر ، فإن اقتصار السير على الاتجاه الواحد يجعل السالك مضطراً لاجتياز مسافات بعيدة لا حاجة له بها ، ويشغل من الطريق ما ينبغي أن يفرغ لصاحب الحاجة اليه .

ثانياً : تنظيم العمران ويجعل في مكة والمدينة على أساس من المبدإ القائل مقالة النبوة ( مكة كلها حرم ) وكذلك ( ما بين لابتي المدينة حرم ) .

أ ـ فيطبق هذا المبدأ على الطابق الأرضي المحاذي للشوارع حتى يكون مادون الأبنية التي تقام على الأعمدة من فوقها كأنها امتداد للشوارع على سويتها الواحدة ، كأن وجه الأرض بذلك ما زال على حاله الطبيعية خالياً من بناء الأعمدة التي يقوم البناء من فوقها بطوابقه .

ب ـ ويكون لأصحاب البناء الطابق الأول ويستخدم منه مايستخدم للمتاجر والمكاتب ، وتجعل المساكن من فوق ذلك .

جـ ـ وأما ما دون وجه الأرض ، فيجعل « أقبية » للحاجات الثلاث

الأساسية : قسم للطهارة « المراحيض والوضوء » ، وقسم لموقف السيارات ، وقسم كمستودعات للبضائع التجارية وأثقالها . . .

د ـ وان رفع البناء على أعمدة مكشوفة في طابقها الأرضي وتنظيم المرافق والمحلات التجارية والسكنية وغيرها على أساس ذلك هو الذي يسد الحاجات دون التباعد عن الحرمين كما حدث بأسلوب توسعتها على الوضع الراهن الذي لم يحقق القصد وخاصة لما يطرأ من حاجات في وسط هذا الزحام ، وقد بعدت المرافق للطهارة عن صاحب الحاجة كما بعدت مساكنه عن النقطة المقصودة من الحرمين حين اكتسحت البيوت والمباني باسم هذا الاسلوب من توسعة الحرمين الشريفين . . .

هـ ـ إن التوسعة المسجد على الخطة التي درجت من الحاق الأرض وسمائها بالمسجد مع أنها ( على غلاء أكلافها لاستملاك مبانيها ) لا تحقق القصد ، وتبعد الحجيج عن مواطن رغبته بالمقام كما تبعد عنه مواطن حاجاته لمثل وضوئه وطهارته ، وتزيد الحركة ازدحاماً في الشوارع على مقدار ما تبعد المنزل عن المسجدين في مكة المكرمة والمدينة المنورة .

و ـ وقد أخذت بنظام الطوابق والاعمدة بلاد مثل سورية ولبنان من أجل تأمين مواقف للسيارات أو الانتفاع بها كملاجيء للدفاع المدني وكذلك انتزع شطر من الطبقة الأرضية فجعل « أرصفة » للمشاة يظللها البناء في صيف وشتاء ويمنع زحام الطريق .

ز ـ وإن حاجات بلاد المناسك لمثل ما ذكرت أولى وأجدر وأنفع وأيسر.

وإن تنفيذ مبدإ « مكة كلها حرم » و « ما بين لابتي المدينة » حرم ، بتطبيق ذلك في حدود الطابق الأرضي ومادونه وهو القبو كما أسلفت ، انما يمكننا أيضا من أمور عدة منها :

١ )ـ تعداد المطافاتعلى أيسر وجه حتى بالاستفادة من الشوارع الدائروية

حول المسجد للطواف فيها أو بمطافات يطاف فيها حول الكعبة المعظمة ركوباً كما كان يركب في المسعى ، وقد نفذت خطة الطوابق في المسعى كما وسعت حدوده بعد ضيق الوادي على أصله وكان لذلك وجهه الشرعي ، وبدأ الاقبال جماهيرياً على السعي في الطابق العلوي تخلصاً من الزحام وأخطاره ، وطبيعي أنه لا يضـــير السيارات وراكبيها أن تطوف بمحيط الدائرة آنذك حول الكعبة المعظمة ،

١ ـ هذا مع الاشارة إلى أن الكعبة المشرفة محرمة في جوها حتى لو زال بناؤها لا سمح الله بمثل السيل ، فالحرمة لها ، والطواف بها من الارض السابعة إلى السماء السابعة سواء وفي هذا الحال مجال آخر لتعداد المطافات بمثل الطابق والسطح من البناء القائم بباحة المسجد وهذا أيسر وقدتوفرت أسباب التمكن من إقامة المطافات المتحركة كهربائياً أيضاً.

وإن حركة الأرض يمن عليها طواف لهم ، شأن من يركب جمله طائفـــا ساعياً أو سيارته أو عربته .

وعلى اشتوط الطواف في المسجد كالشافعة فحكم مشارفه عند الزحام حكم المسجد

٢) ـ : يمكن الحجاج السكنى قريبا من نقطة الهدف من المسجدين ( من الكعبة المعظمة بمكة المشرفة ) ومن الروضة الشريفة في المدينذة المنورة ولك باشادة البناء غير بعيد منهما لعدم الحاجة إلى أسلوب التوصعة المبعدة عن ذلك ، عندما نكتفي بأن يلحق الطابق الارضى بالمسجد ويشاد البناء من فوقه على الاعمدة كما سلف .

وبهـــذا الاسلوب من البناء نتجنب أضرار البعد بزوار المسجدين عن مرافق حاجاتهم لوضوئهم وطهارتهم إضافة إلى تيسير إقامتهم قريبا ممـا يستهدفون من قرب الكعبة المعظمة والروضة الشريفة .

١ ـ إن كل شارع رئيسي ينبغي أن يتسع على الأقل إلى رصيفين ومن جانبيه يتسع إلى موقف سيارة في جانب كل من الرصيفين هذا مع بقاء السعة في أوسط الطريق إلى مسيرة سيارتين لتواصلا أوسط الشارع سيرهما إلى حيث شاءتا .

إن ضيق مسجدي مكة المكرمة والمدينة المنورة بعديد الحجاج قد جعلهم يقيمون الصلاة في الشوارع حتى ليقطعون السير فيها قبل كل صلاة بمدة طويلة ونرى من ذلك الصفوف في المدينة المنورة تمتد يمنة إلى نهاية الشارع العيني ويسرة الى البقيع ونرى مثل ذلك في شارع بعد آخر حتى في الشارع القبلي المتقدم على الامام فإنه يمتليء ويضيق بالناس من الزحام .

ك – ولابد لهذا من تأمين المواصلات باطراد فلا تنقطع حركة السير لاحتلال الشوارع وامتلائها بالمصلين كل يوم خمس مرات وذلك باقامة جسور مرتفعة على الشوارع تجعل للسيارات والمشاة حيث لا غناء عن ذلك وهذا على نحو ما أحسنت الحكومة السعودية صنعاً في منى فوق الشوارع الضخام من جهة وفوق الجمرات من جهة أخرى فضلاً عما يجب من اسلوب القطارات حتى الجوفية ( في بطن الأرض ـ المترو ) والمعلقة بالهواء .

ثانياً : خطة السير :

ينبغي فيها ملاحظة الميزة الاصلية للبلدين مكة والمدينة انهما مركزان للحركة الداخلية المتصلة أبداً بالحركة الخارجية قدوماً اليهما وارتحالاً عنهما بصورة دائمة ليلا ونهاراً دون انقطاع .

أ – ان سهولة التحرك في المواصلات تستلزم أن تجعل لكل شارع ممتد دوائر فية للانعطاف منه تمكن من الانتقال من شارع الى آخر بل ولتغيير الاتجاه حيث يحب وفي تسهيل ذلك اضافة الى ما سلف من الشوارع ( المخططة للبلدين دائروية وعمودية على الحرم وموازيه للشوارع المحيطة به ) تيسير لحركة السير والمواصلات فكيف اذا أضيفت جسور عليا فوق بعض الطرقات تمكن من استمرار المواصلات .

ب – وان الاقتصار على وحدة الاتجاه في سير السيارات ومع وضع الشوارع الراهن يجعلها تغص بالسيارات وتزدحم بالمشاة حتى لتشغل من ذلك السيارات بمسيرتها في الطرقات مساحات ومسافات لا حاجة لها بالسير فيها

وبذلك تزاحم السيارات التي تحتاج الى السير فيها بغير ضرورة داعية ، اللهم الا ما ظن أنه يخفف ضغط السير بالتزام الاتجاه الموحد .

وخاصـة في بلدين هذا شأنها وما تتميز بـه أوضاعها من الاقبال واطراد الازدياد في حل وترحال . .

ج ـ وان تنظيم السير الموحد اتجاهه على الوضع الراهن لا يمكن صاحب السيارة الحاج من الوصول الى المبنى الذي يقصده وزاد الأمر سوءاً حـين منعت السيارات القادمة من الخارج أن تدخل مكة والمدينة وألزمت بالوقوف في محطـات خارجها في ظروف المواسم مـع أن المواسم يلازمهـا نقل ثقيل الاحمال ، هذا فضلا عن مشقة المسير وخاصة اذا ذكرنا في الايام الحارة ما يكون من ( ضربة الشمس ) ويتعرض أكثر الايام تعتبر حارة في مكة المكرمة والكثير الكثير من الحجاج يتعرض بقابليته الى أخطار ضربة الشمس القاتلة حتى الموت .

لهذا لابد من تيسير حركة القدوم والارتحال وجعلها جزءاً من حركة المواصلات الداخلية بالتنظيم للشوارع وتيسير حركة السير فيها على ما سلف .

د ـ هذا وان من أمس شؤون التنظيم ( تنظيم البيانات والمصورات ) التي تقدم في العالم عن المدن السياحية وطرقها ومؤسساتها ومايلزم الغريب معرفته عنها .

هـ ـ وينبغي أن يستكثر لذلك من وضع مخططات لمواطن المشاعر بشوارعها ومؤسساتها والمراكز الاساسية فيها ( لمثل المياه والمراحيض والاسعاف ) .

و ـ ويستتبع ذلك أيضاً تحديد وتنظيم مراكز المطوفين والفنادق ومواقعها من الشوارع في مثل عرفات ومنى وتصور بشكل واضح مرقم ويعطى ذلك لكل حاج .

ز ـ وبذلك يخف ما وقع من ضغط وما يسبب من ضياع الضائعين ، الأمر الذي يتكرر في كل عام ولما يحل بمثل هذه الخطة المفيدة إذ كان الأمر قاصراً

على مراكز يأوي إليها أهل الضياع كمراح الغنم ، دون أن يفكر بأسباب الضياع واستئصال ما يمكن من أسبابه العديدة .

ج - وإن هذه الصور يجب أن تعطى سنوياً لأبناء المملكة ولاسيما في مكة والمدينة وجدة .

كما تجعل محلا للنظر على طرقات هذه المدن مع المصورات اللازمة التي تسلم لكل سيارة قادمة ، ولكل حاج قادم بحراً أو جواً .

ط - هذا ومن المفيد أن يعمل بانشاء خط حديدي أو كهربائي إلى عرفات بدءاً من جدة،فهو ييسر الانتقال بل ونقل لحوم النسك لتصنيعها وبالتالي لتوزيعها على مستحقيها ، بديل الحال الزرية التي لازلنا عليها .. وسفه ما يتلف منها .

رابعاً : الرقابة للسير والحركة :

بدأت باستخدام الطائرة العامودية ( الهيلوكوبتر ) فكان ظاهرة طيبة لتوجيه وتيسير الحركة وجاءت الاخبار بخطى أخرى حميدة لصالح ضبط الامن وذلك برقابة الحوادث في الطواف والشوارع بالمبصار ( التلفزيون ) وتصويرها بالاشرطة المسجلة المبصار ( تلفزيونياً ) حتى لا تخفى حادثة .

وإن هذه الخطوات الحميدة تقابل ببالغ الشكر والثناء ، وتبشر بأن في المملكة العربية السعودية رغبة جدية لمجاراة الزمن بدواعي الاصلاح الحضاري وهذا ما يشجع على متابعة البيان والمقترحات .

بهذا النظر على مستوى القدرة مالياً وعلميا نجاري العصر في سد الحاجات ونحل المشكلات وتنهض البلاد المقدسة على غير خطة أهل التقليد للأغيار دون تبصر ولا اعتبارولاتقدير لاختلاف الحاجات والبيئة بل . والعقيدة ولقد أراد بنا الله تعالى أن نكون أئمة قدوة ، وحذونا رسول الله ﷺ من مساويء التقليد فإنها خطة اتسمت بالطفولة ، والعاقل من اعتبر وفكر وقدر وحقق أهداف الاسلام وأقام أركانه ويسر لأهله حاجاتهم في دينهم ودنياهم ورعى حرمة شعائر الله في عصر العلم والثراء والتقدم على مستواه والمنة لله .

# المناسك بتنظيمها تحل مشكلة الزحام فيها

أولاً في عرفة :

لقد بدأنا الحديث من ( عرفة ) وموقفها لأنها رأس الامكنة المقصودة للمناسك ، (والحج عرفة )، كما قال رسول الله ﷺ فالحج بهذا محدود في زمانه ومكانه ، وإن من تحديدهما على ما الفنا ضيق الزحام الذي يمثل مشكلتنا المعاصرة في الحج .

ونحن من هذا التحديد نفهم اليوم بعمق هذا الحديث الشريف نفسه ( الحج عرفه ) ونرى من ذلك طريق حل المشكلة فنرى السعة بعد الضيق .

١ — فأما الزمان فانه محدود من زوال الشمس ظهر هذا اليوم الى طلوع فجر يوم عيد الاضحى المبارك .

أ — غير أن الحكم فيه ان من أدرك في عرفة من هذا الزمان لحظة مطمئنا ولو كان وجوده هذا قائماً أو قاعداً أو مضطجعاً في أرض عرفات أو سمائها فقد أدرك عرفة وأتم هذا الركن الركين من حجه .

٢ — وأما مكان عرفات فانه هضبة واسعة الحدود جداً ، فهي تتسع للملايين العديدة ، ولو افترضنا امتلاءها بحشود الحجيج فالوقوف حينئذ في مشارفها المتصلة بعرفة تأخذ حكمها ، وذلك على مثل حال المصلي يجد الجامع مزدحماً فيقف في جوار المسجد من الطريق بصف متتابع فيدرك بذلك صلاة الجمعة والجماعة ويكون حكمه واجره كمن كان داخل المسجد : « وما جعل

عليكم في الدين من حرج » بتكاليفه وأحكامه جل سبحانه .

أ - هذا فضلا عن إمكان الادخال إلى عرفة جميع من ضاق بهم نهارها فوقف في مشارفها ، وذلك من بعد بدء الافاضة منها إلى مزدلفة عقب المغرب على ما يجب على من وقف نهاراً ان يجمع مع جزء نهاره جزءاً من الليل ولو لحظة مطمئنة من بعد الغياب وبذلك يتيسر للحجاج موقفهم من عرفة .

ب - واذا ضاقت مكة بازدحام المقبلين عليها قبل يوم عرفة أمكن توجيه الزيادة عن استيعاب مكة رأساً إلى منى ومزدلفة وعرفه ، وبذلك لا يصد أحد عن الحج ، ومشاعره مهما أقبلت الوفود وتضاعف العدد ، ولا عذر مع هذا الحل لمن يصد عن بيت الله من أقبل عليه حتى مطلع فجر العيد لا بأمر باغلاق حدود المملكة ولا بأي أمر آخر فإنه : ( لا طاعة لمخلوق في معصية الخالق ) وكيف يصد من أقبل يلبي نداء ربه : لبيك اللهم لبيك . . .

متى بلغوا مأملهم أن يقفوا ضمن حدود عرفة وأعلامها لحظة مطمئنة فان لهم أن يطيلوا ما شاءوا من ليلهم وفيه السعة إلى طلوع الفجر ، وإن كان الاختصار في الوقت هو المطلوب لينتهي الحاج إلى مبيته بمزدلفة قبل الفجر من ليلته هذه .

## ثانياً : الافاضة من عرفات إلى مزدلفة :

هو ثاني مواقف الازدحام على أشده نتيجة الاسراع من عرفات ليصلي الحاج في مزدلفة المغرب والعشاء جمع تأخير ليلة العيد وليبيت فيها ، ووقت مبيتها مبتدؤه من المغرب ومنتهاه إلى الفجر ، يصلي ويدعو ويرتحل إلى منى ، هذا إن أتم الوقت كله ، وإنما يكفيه بعضه على تفصيل في الاحكام للاحوال المختلفة في المذاهب الفقهية .

أ - وإن الازدحام في هذا الحال يستوجب في معالجته تقسيم مزدلفة محاضر بامتدادها من أولها بعد عرفة الى منتهاها من جهة منى وبمستطيلات يجعل واحدمنها طريقاً والآخر للنزول من جانبيه للمبيت فيه ويجعل الطريق على ذلك متسعاً

لأربع سيارات لتقف سيارة عن يمينه وأخرى عن يساره في الوقت الذى تواصل سيارتان سيرهما إلي حيث ترغبان .

وتجعل بعض الشوارع أيضاً قاطعة عمودية على المستطيلات لتكون شوارع فرعية للالتفاف وتغيير الاتجاه حسب الحاجة بحيث تمكن من التنقل بين المستطيلات ( المنازل والشوارع ) والتوغل فيها عند اللزوم ، وبذلك يمكن الانتفاع من كل شبر في مزدلفة والوقوف في كل مكان منها ، وتعد مستطيلات المبيت بمائها ومراحيضها وتنظيمها إعداداً صالحاً وبذلك تتوفر الاسباب للحركة والوقوف والمبيت في كل لحظة وفي كل رقعة من مزدلفة .

وبذلك يتيسر الوقوف لمن شاء بيسر ومتابعة السير بيسر في آن واحد .

ب – هذا بينما نرى مما تم ، ان جل العناية قد قصر على الطرق العابرة التي تصل بين عرفات ومنى ، دون ملاحظة التنظيم الواجب للوقوف حتى ان جنبات هذه الطرقات في مزدلفة يتعذر الحيدان منها إلى الارض الملاصقة لها للوقوف والمبيت فيها .

ج – هذا مع الملاحظة بأن الحكم الشرعي في مبيت مزدلفة بين مشدد ينزله منزلة الوقوف في عرفة ويقول : الحج مجمع ، ويلتزم فيه من بعد الافاضة من عرفة إلى ما بعد صلاة الفجر ودعائه حتى إسفار النهار ، وبين مخفف يقتصر في المبيت على االزمن القصير ، ولو قدر حط الرحال لصلاة المغرب والعشاء . . .

هذا إضافة إلى ما يسر عليه الصلاة والسلام من أمر المبيت حين أذن للنساء والضعفاء وذوي الحاجات الذين يقومون بخدمات الحجيج والرعاء .

و – ومن هذا نرى للمبيت المعايير المختلفة من تعدد هذه الاحكام بتيسيرها شرعاً بما يرفع الحرج وخاصة عند عدم الاستطاعة لمثل زيادة الحجيج عن السعة المكانية .

هـ – يضاف إلى ذلك أن مشارف المناسك عند ازدحامها تأخذ حكمها

وتعتبر لاحقة بها كما أسلفت ويكون الوقوف فيها والمبيت بالتبعية للمشعر الحرام ، والتابع تابع ولا يفرد في الحكم ، فكل مزدلفة مشعر حرام ومشارفها عند الازدحام بحكمها .

ولهذا فان مشكلة الزحام فيها والمبيت مبنية على توسعة في المكان وقصر في الزمان وفي ذلك كل التيسير مهما ازداد الحجيج ملايين عديدة .

ثالثاً في منى :

منى مناخ الحجيج حقاً فهي موطن الرمي والذبح والمبيت عند الذهاب إلى عرفات سنة ، وفي الليلتين أو الثلاث من ليالي العيد أيام التشريق ، فالحركة فيها شديدة باستقبال صبيحة العيد بالرمي والذبح والذهاب لمن تعجل لطواف الزيارة والعودة اليها للمبيت فيها وفيها سعة الوقت لتزاور الحجاج فيها ، كل ذلك يجعل لمنى وضعاً يحتاج إلى عناية تامة فائقة .

هندسة منى :

وأول الأمر ان تعتبر بواديها ( وهذه العبادات والحركة فيها ) أنها أرض واحدة لمالك واحد هو رب العالمين .

الشوارع :

وان تقسم رقعتها محاضر بشوارع بين متعامدة ودائرية تحيط بواديها للدخول إلى منى والخروج منها وتجعل لنقاط التعاقد بين الشوارع دوائر تمكن من الالتفاف لتغيير الاتجاه والانتقال من شارع لآخر وتجعل الشوارع دائماً من السعة بحيث تتسع لوقوف السيارات في جانبيها ، ومواصلة سيارتين مسيرهما مع سعة إضافيه للمشاة .

البناء :

وأما البناء فيها فيحسن كما يتردد منذ سنوات أن يتم فيها وتعمر جميعاً على أعمدة بطوابق عديدة بحيث يجعل الطابق الأرضي عاماً بالمجان ، وتجعل الاقامة

في المباني برمم محدود .

وهذا ما يحسن أن يتم لحساب وقف الحرمين وخدمات الحجيج على نحو ما أسلفت في مكة والمدينة حينما الحقت أرض بالمسجدين من وراء جدرانها الحاضرة ففي ذلك إصلاح في الحاضر مع يسر الرخاء بفضل الله ومنه وضمان المستقبل حتى البعيد البعيد بموارد هذه الاوقاف لخدمات الحج وأهله .

المرافق :

وينبغي ان يلحظ في طابق الاعمدة الارضي تنظيم الحاجة الوضوء والطهارة بل وللذبح فيه كما يقع بالفعل حين نرى الهدي والنسك في كل مكان رغم وجود المذبح العام .

الصحة العامة :

وبهذا نحافظ على الوضع الصحي الذي يفسد في منى عادة وخاصة في الصيف بحكم طول المقام فيها وما يرافق وضعها من نقص الماء ومواطن الطهارة وانتشار الذبائح هنا وهناك كأنها جيف بديل أن ينتفع بها عباد الله ومن أوجب تعالى الذبح لهم من القانع والمعتر والبائس الفقير .

وجوه للانتفاع :

ويمكن هندسة المنطقة ومحاضرها كمخيمات على وضعها الراهن ولكن على هذا النحو من وضع المياه والمجاري والتنسيق بين الحاجات فيها .

وإن منى تعتبر بطبيعتها وقربها من مكة بمثابة امتداد للسكن في مكة بحكم اتساع العمران حتى يمكن الاستفادة من العمران فيها بعد الموسم على امتداد السنة وذلك حين يلحظ تقسيم البناء فيها وجوه والانتفاع وسبله مما يسهل معه إفراغها للموسم كأن تجعل مدينة جامعية وللمدارس المنوعة وخاصة الفنية والعالية وللثكنات ولأنواع من المستودعات لمثل السيارات وما إلى ذلك مما يستفيد من هذه المباني بل ومماتحتها من طابق الاعمدة في خلال السنة ثم تخلى بيسير للانتفاع بها في موسم الحج وخدماته .

الحركة :

٣ – وكما يجعل البناء طوابق فكذلك تيسر حركة المواصلات فيها داخلياً بتيسير الحركة منها واليها خارجياً ، بطرقات يعلو بعضها بعضاً حسب الحاجة ، ( على نحو ما جرى من ذلك بعضه ) . ونلاحظ هنا ما لاحظناه في عرفات او مزدلفة بأن في مشارفها توسعة بالامتداد اليها عند الضيق .

يضاف كذلك إلى ما سلف ملاحظة يسر الاحكام الشرعية في هذا المبيت وتعددها وفي سعة المجال للذبح في مكة فهي منحر مثل منى من الناحية الشرعية، وفي مكة من الضعفاء والفقراء والعجزة من لا يصل اليه شيء من لحوم الذبائح بمـــنى ...

الرمي :

أما زحمة الرمي فهي أبرز مظاهر الزحام . وإن ما تم لها من طرقات أرضية وعلوية معلقة وخاصة منها ما يسر الرمي من الطريق المعلق ( الجسر ) فان ذلك من الخطوات الطيبة المشكورة التي يمكن التوسع فيها وتعدادها .

وان تنظيم السير فيها يقتضي أن يتم بالاتجاه الموحد للطريق الارضي والجسر العلوي المخصصين بين الجمرات للرمي .

أ – وهذا ما يقتضي أن يجعل اجتياز طريق الجمرات الارضي عرضانياً اما بطريق علوي معلق أو بطرق من دون الارض حتى لا يعرقل السير ، المصادمة من جراء اختلاف الاتجاه .

وان مثل هذا التنظيم للسير ( في مقسم بعد مقسم من أرضها ) ومن شارع الى آخر ( كما تنظم على نحو ذلك عادة معابر الطرقات والشوارع المتقاطعة في في المدن الكبيرة المزدحمة ... )

وان في ذلك ما يسر أيضاً تنظيم الرمي على أهل كل شارع ومقسم فيقسم الحجيج حسب منازلهم في منى زمراً زمراً ويجعل لكل زمرة ساعة للرمي يأتي غيرها من بعدها في ساعة أخرى ..

أ – وان في اتساع الوقت تيسيراً للتنظيم بعد ان اخذنا بمذهب من لا يحصر وقت الرمي من الزوال إلى المغرب .

ب – اضف الى ذلك يسر أحكام المبيت في منى ، فهو سنة عند الحنفية ويكتفي ببعض الليل عند من يرى وجوبه ، ولهذا يستطيع الحاج البقاء بعض الوقت حتى بسيارة يقبل فيها ويعود دون أن يضطر الى خيمة ولا مخيم ...

– وان من سعة الاحكام وتيسيرها كذلك جبر المبيت عند المذاهب التي ترى وجوب المبيت ( بذبيحة ) عند القدرة على ذلك .

وكذلك يسر الرجم بحكمي من الجبر اضافة الى جواز التوكيل به .

ج – يضاف الى ما سلف ( من باب الدراسة الفقهية ) لوجوب التيسير على الناس ملاحظة نقاط ينبغي ان تعالج تفقهاً من قبل أعلام العصر ( في مثل الرابطة الاسلامية وغيرهم من الاكفياء الموثوقين في دينهم وعلمهم ) .

أولا : مايستنبط من الاحوال المتعددة التي سأل عنها الصحابة الرسول ﷺ وكانت تلك الاسئلة في شأن منى ومناسكها، فقد جنح ﷺ الى التيسير ، حتى أجاز كل سائل بما فعل من تقديم وتأخير ونحو ذلك .

هذا إضافة الى انه ﷺ أذن للرعاة وذوي الحاجات بعدم المبيت ولم يلزمهم بالجبر والذبيحة .

ثانيـاً : ان أمر المبيت والرمي في منى قائم بعلته الشرعية على التفريغ لذكر الله والدعوة اليه وتعظيم الشعائر بدليل انه ﷺ أعفى من المبيت والجبر بسببه الضعفاء وذوي الحاجات والمرضى ، كأنما أنزل القيام بذلك منزلة ( الواجب على الكفاية ) ، فان صح هذا الفهم جاز تفقها أن يقصر الواجب في منى على من اتسع وادي منى لهم للرمي والمبيت أو الرمي ويجري حينئذ هنا حكم القاعدة الاصلية بالكفاية دون جبر ولا نسك .

رابعاً : في الطواف حول الكعبة :

وان طواف الافاضة ( بعد الافاضة من عرفات ) هو طواف الزيارة وهو الطواف الركن من الحج وان وقته متسع أيام العيد الاربعة يضاف الى ذلك أن في المذاهب الفقهية السائدة تيسير بامتداد الوقت ايضا الى نهاية شهر ذي الحجة بل وعند آخرين الى نهاية العمر !

أ - وبهذا الزمن الممتد سعة يتيسر فيها لنا مجال التنظيم وخاصة حين نأخذ بمبدإ تنظيم الحجيج بشكل جديد (كتنظيم قوافل الحجيج في عرفات قديماً أيام كان أهل كل قطر يختصون ببقعة ثابتة حسبما تدل عليه مصورات عرفات السابقة،

ويصبح ممكنا تقسيم الحجيج والزمن للطواف فيحدد أيام الزحام الشديد (على نحو ما أسلفنا للرجم في منى ) بتنظيم هذا الاقبال على الطواف باوقات تخصص بحسب تقسيم أحياء مكة ، فيقبل المقبلون من حي بعـــد حي كل بحسب الوقت المخصص لهذا الحي ومن فيه .

ب - هذا الى جانب ماسلف بحثه ص٦٤ من امكان تعدد المطافات حول الكعبة المشرفة بديل قصرها على المطاف الواحد القائم من حولها .

وبهذا ونحوه من شؤون التنظيم تحل أزمة الزحام في الطواف ( زمانيـا ومكانيـا ) ونحافظ على وضع الكعبة المشرفـة بشكلها البارز الحاضر الواضـح منظره دون أدنى تغيير باي شيء من ذلك .

خامسا : الزحمة في الحرم أيضا

١ - اصلاة ركعتي الطواف عند مقام ابراهيم .

٢ - ولبئر زمزم .

وان كل مزدحم في المكان تحل مشكلته المكانية بأن يعدد له المكان طابقيا من فوق الارض أودونها في المسجد الحرام نفسه دون أي تعديل أساسي للوضع الراهن في بنائه الحاضر ،وانما تجعل الطوابق له بشكل يناسب الحاجة وحال الازدحام.
كأن يجعل في الموقع لذي صلى فيه الآن الركعتين قبو بطبقة أو اثنتين

ينزل إليه (كما ينزل إلى بئر زمـــزم) كما يمكن في مثل ذلك بجعل طوابق فوق أرضه، فيصبح على ذلك أضعافاً مضاعفة رغم ان مشكلة هـــذا المزدحم طفيفة لاخطر منها لأن صلاة الركعتين للطواف حيثما أمكن ميسرة وجائزة . .
وما هذا الازدحام إلا من باب الاولوية يعالج بالتوجيهات والتوعية والتنظيم .

زحمة بئر زمزم :

وكذلك الحال فيها، فإنه لا خطر منها ولا أهميـــة لها وحسبنا من الوضع الراهن بعض التعديل بأن ترفع صنابير الماء من صدر مكانه ويقسم الثلث من أوسط المنزل الراهن فيجعل مكاناً للخروج ويجعل الثلثان الباقيان يمنة (عند النزول) للرجال ويسرة للنساء، حتى إذا وصل النازل لآخر صنبور مـــع الدرجات وجد مـداره في الصدر للخروج من الاوسط باتجاهه الموحد للرجال والنساء وذلك ليسر الخروج بخلاف الدخول لطلب الماء والتوقف له .

أ - وقد يقتضي هذا التعديل ان يوسع المنزل الحاضر بحيث يجعل مقسمين : الاول للرجال والثاني للنساء في صعود ونزول مستقلين .

ب - ومن اليسير إضافة إلى هـذا الاستفادة من بعض غرف الاقبيـــة والزمازمة توسعة لأخذ الماء والوضوء دون النزول إلى محل البئر نفسه .

* * *

هذا هو الحج بأهميته وعبادته ومنافعه وحاجاته وحل مشكلاته وكلها تنتظر من العاملين المخلصين جداً .

ونحن نسأله سبحانه وتعالى أن يوفق جلالة الملك خالد آل السعود وحكومته وشعبه لتحقيق الاماني الغالية وبذلك رفعة العرب وذكرهم وعزة الاسلام وأهله « ولله العزة ولرسوله وللمؤمنين » حقاً

والحمد لله رب العالمين

المحامي

محمد بن كمال الخطيب الحسني

مدير جمعية التمدن الاسلامي ومجلتها بدمشق